

ستالين

سفاح القرن العشرين

- ستالين : الطاغية الذى حصد أرواح 20 مليون مواطن روسى.
- ستالين ينشر أفكاره الشيوعية المسمومة ويثير الفتن بين الشعوب.
- لماذا غدر هتلر بستالين، وكيف خرج ستالين منتصرًا من الحرب العالمية الثانية .
- الديكتاتور الخائف ! جرائم ستالين تصيبه بالقلق وعقدة الوسوسة.
- لغز وفاة الديكتاتور واختفاء زوجته اليهودية وطبيبه المعالج !
- أسرار المذبحة الجديدة التى أعدها ستالين لأطباء الكرملين اليهود.
- شخصيات وراؤها حكايات مثيرة : راسبوتين ، ماركس ، لينين ، تروتسكى..

دكتور/ أيمن أبو الروس

شخصيات لا ينساها التاريخ

ستالين..

سفاح القرن العشرين

- ستالين ؛ الطاغية الذى حصد أرواح 20 مليون مواطن روسى.
- ستالين ينشر أفكاره الشيوعية المسمومة ويثير الفتن بين الشعوب.
- لماذا غدر هتلر بستالين، وكيف خرج ستالين منتصرا من الحرب العالمية الثانية .
- الديكتاتور الخائف ! جرائم ستالين تصيبه بالقلق وعقدة الوسوسة.
- لغز وفاة الديكتاتور واختفاء زوجته اليهودية وطبيبه المعالج !
- أسرار المذبحة الجديدة التى أعدها ستالين لأطباء الكرملين اليهود.
- شخصيات وراؤها حكايات مثيرة ؛ راسبوتين ، ماركس ، لينين ، تروتسكى . .



دكتور
أيمن أبو الروس



ابو الروس، ايمن.
ستالين.. سفاح القرن العشرين/ ايمن أبو الروس.
ط١، - القاهرة، مكتبة ابن سينا، ٢٠١٤.
١٩٢ ص، ٢٤ سم
تدمك ٣ ٠٤٩ ٤٤٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- السياسيون الروس.
٢- ستالين، جوزيف فاريونفيتش، ١٨٧٩ - ١٩٥٣
أ- العنوان. ٩٢٣.٢٤٧

رقم الإيداع: ٢٠١٤/١٥٦٣
الترقيم الدولي: 3-049-447-977-978



للنشر والتوزيع والتصدير

نافذتك على الفكر العربي والعالمي من خلال ما تقدمه لك من روائع الفكر العالمي والكتب العلمية والأدبية والطبية ونوادر التراث واللغات الحية. شعارنا: قدم الجديد.. وبسعر أرخص

يشرف عليها ويديرها
مهندس
مصطفى عاشور

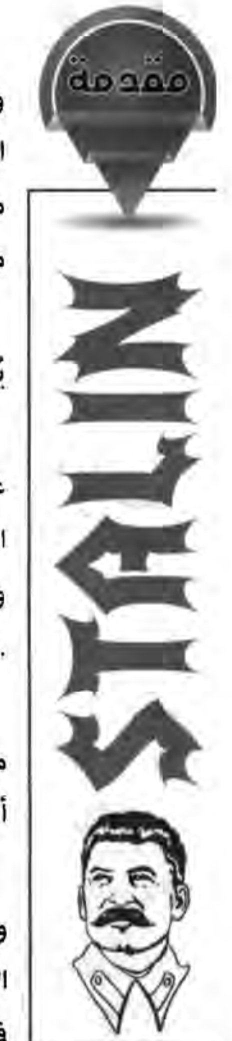
٢٦ شارع محمد فريد - النزهة - مصر الجديدة - القاهرة
تليفون: ٢٦٢٣٩٨٦٢ - ٢٦٢٤٣٢٨٢ فاكس: ٢٦٢٨٠١٨٣
Web site: www.ibnsina-eg.com
E-mail : info@ibnsina-eg.com

تصميم الغلاف: ابراهيم محمد ابراهيم
الإخراج الفني: وليد مهني علي

تطلب جميع مطبوعاتنا بالمملكة العربية السعودية من
مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ - هاتف ٤٣٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦ - ٤٣٥٩٠٦٦
فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٦٧
E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة - القاهرة
تليفون: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩



شهد تاريخ العالم ظهور رؤساء وزعماء مجرمين وسفاحين ومعتوهين ، لكن واحدًا منهم احتل المركز الأول بجدارة وبلا منافس بما خلَّفه وراءه من قتلى من أبناء شعبه ، فقد حَصَد أرواح نحو 20 مليون مواطن !! .

هذا هو الزعيم الروسى ستالين .. الجدير بأن يُلقَّب بسفاح القرن العشرين!

لقد أمسك ستالين ببلاده بقبضة من حديد على مدار 25 عاما هى مدة حكمه .. واستطاع التخلص من كل منافسيه ومعارضيه .. وعَزَل بلاده وشعبه عن باقى العالم.. وأصبح هو الحاكم الأوحد .. واكتسب عند الروس صورة الفرد المقدس !

وقد ظل كثير مما ارتكبه من مجازر وبشاعات مخفيًا عن العالم بل ومخفيًّا عن كثير من الروس أنفسهم حتى وفاته .

فبعد ذلك ، بدأت تتكشف أسرار عجيبة وفضائح كثيرة وجرائم بشعة جعلت من العصر الستاليني واحدًا من أسوأ فترات البطش والتعذيب فى حياة الشعوب.



إنه لشىء مثير حقًا أن نعرف كيف نشأ .. وكيف عاش ذلك الرجل الفولاذى [وهو ما تحمل معناه كلمة ستالين] .. وكيف تمكن من الصعود إلى السلطة والبقاء بها لمدة 25 عامًا .. وهى أطول مدة حكم قضاها زعيم روسى .. وماذا قدّم لشعبه وكيف أثّر فى العالم من حوله .

فتعالوا نتعرف على هذه الجوانب وغيرها من حياة ستالين . سفاح القرن العشرين .

مع تمنياتى بجولة ثقافية مفيدة .

المؤلف









الطفل البائس ..
والصبى الفاشل فى التعليم



• أسرة ستالين :

وُلد ستالين - واسمه الحقيقى جوزيف فيساريون دجوجا شفليى - فى ديسمبر سنة 1879 ، فى مدينة صغيرة بجورجيا[1] اسمها "جورى" بين أسرة فقيرة عانت من صعوبة العيش .. ولم يختلف حال مدينته كثيرًا عن حال أغلب المدن الجورجية التى عانت من الفقر والظلم فى ظل حكم القياصرة الروس .

وكان له أخ وأخت .. بينما مات أخان آخران له فى عمر الطفولة .

• الأب :

هو "فيساريون" وكان يعمل بمصنع للأحذية (إسكافى) .. وكان رجلاً عنيفًا خرب النفس مدمنًا للخمور .. ومات سكيرًا تاركًا ستالين الصغير فى رعاية أمه.

(رواية أخرى : فى أحد الأحاديث الخاصة للزعيم ستالين ذكر أن "فيساريون" لم يكن أباه الحقيقى ، وإنما كان أباه قسيسًا !).

• الأم :

هى إيكاترينا جيلادز (أو كاترين) وكانت تعمل بأشغال بسيطة لكسب

(1) جورجيا، بلد مستقل من بلاد القوقاز (القفقاس) وعاصمتها تبليس أو كما يسميها العرب (تفليس) وإحدى الجمهوريات السوفيتية السابقة ومسقط رأس الطاغية جوزيف ستالين (الناشر).



لقمة العيش فعملت فى فترة بمجال حياكة الملابس (خياطة) . وعملت فى مغسلة لغسل الملابس .

وكانت إمرأة متدينة تداوم على الذهاب الى الكنيسة الأرثوذكسية ببلدتها .

وكانت حادة الطباع عصبية المزاج ترتدى ملابس سوداء باستمرار . وكانت تريد لابنها الصغير ستالين أن يصبح قسيسا .

(رواية أخرى : جاء فى أحد المصادر أنها كانت منحرفة تعمل بالدعارة، وأنها قامت بمساعدة عشاقها بالإجهاز على زوجها فيساريون !) .

• سُوسُو الصغير :

وقد ظلت الأم كاترين ترعى ولدها الصغير وتحاول بالكاد تدبير لقمة العيش لأسرتها الصغيرة بعد وفاة زوجها .

ورغم حدة طباعها وقسوتها إلا أنها اختارت لطفلها اسم "سُوسُو" كاسم تدليل له . ومن الطريف أنها ظلت تدعوه بهذا الاسم حتى بعدما كبُر وصار من رجال السياسة البارزين !



ستالين فى طفولته



صورة لوالدة ستالين

• النشأة القاسية :

ولم يُعانِ ستالين فى طفولته من الفقر والجوع فحسب ، وإنما كان يُعامل كذلك بقسوة . فكان أبوه يضربه ويعنفه من وقت لآخر ، كما كانت أمه قاسية عليه .

وقد أُصيب فى طفولته بمرض الجدرى الذى ترك على وجهه ندوبًا مستديمة . وأصيب كذلك بتيبُّس بعضلات ذراعه اليسرى نتيجة حادث (أو عدوى) وهو ما جعله يُستبعد فيما بعد من الالتحاق بالجيش الروسى.

تلك الظروف جعلته يشب بشخصية عصبية حادة الطباع .

• مرحلة التعلم :

وسَلَك ستالين منذ صغره تعليمًا دينيًا فالتحق بمدرسة بالكنيسة الأرثوذوكسية ببلدته "جورى" وكان تلميذًا غير مطيع للأوامر والتوجيهات وغير محب للتعلم .

وفى عمر 14 سنة ، التحق بمدرسة دينية عليا لدراسة اللاهوت فى "تيفليس" عاصمة جورجيا .

• كوبا الثائر :

وبدأت شخصية ستالين تتشكل خلال فترة صباه وسنوات دراسته بتلك المدرسة على نحو حاد عصبى المزاج ، وأطلق عليه زملاؤه اسم "كوبا" كإشارة لطباعه الحادة وميله للعنف والثورة .

ولم يستكمل ستالين سنوات الدراسة كاملة ، إنما طُرد من المدرسة بعد أربع سنوات من التعليم بسبب فشله فى التعلم وأيضًا بسبب تمرده وميوله

الثورية واشتراكه فى حركات سياسية مناهضة للحكومة والتى انتشرت فى جورجيا .

لقد كانت الحكومة الروسية فى تلك الفترة ترفض إنشاء جامعات بتلك المناطق التى شهدت حركات توتر وشغب من قبل باعتبار أن الجامعات هى البيئة المناسبة لتولد الأفكار والمبادئ المناهضة للحكم وللحكام .. والتى كانت سببًا فى مقتل القيصر اسكندر الثانى فى مارس 1881م .

وعمل ستالين بعدما طرد من المدرسة ، كموظف حسابات فى مرصد جيوفيزيائى فى تيفليس فى سنة 1899 م . وكان عمره آنذاك عشرين عامًا .

• أحوال روسيا المضطربة فى ظل حكم القياصرة :

إن روسيا بلد شاسع المساحة مترامى الأطراف تبلغ مساحته حوالى ضعف مساحة القارة الأوربية .

وكانت روسيا تتألف من ست عشرة مقاطعة . وفى تلك المساحة الشاسعة عاش ما يزيد عن 100 مليون روسى[1] . وكان حوالى ثلثى السكان يقيم فى الريف ويعمل بالزراعة ورعاية الماشية . أما الثلث الباقى فكان يعمل بالصناعة والتعدين وغير ذلك .

وقد جاء ستالين من قطاع الفلاحين البسطاء . ونشأ فى ظل ظروف اقتصادية وسياسية مضطربة كانت تمر بها روسيا فى ظل حكم القياصرة الذين استولوا على ثروات البلاد ، وتركوا غالبية الشعب يعانى من الفقر والجوع ، ونشروا رجال الشرطة السرية فى كل مكان ، وزجوا بالعديد من المعارضين إلى السجون .

---

(1) كان تعداد روسيا 170 مليون نسمة حسب إحصائية 1939م .



وقد حدثت حركات كثيرة مناهضة لحكم القياصرة . وكان من أبرزها حركة الضباط الأحرار في سنة 1825م ، أى قبل مجيء ستالين إلى الحياة ، والتى ثارت فى وجه القيصر نيقولا الأول ، لكنها باءت بالفشل ، ولكنها نجحت فى إيقاظ روح الثورة ضد القياصرة .

وبعدما جاء القيصر نيقولا الثانى إلى الحكم صارت الأمور أسوأ مما كانت عليه .

فقد احتكر القيصر والأسرة المالكة وأمراء المقاطعات الروسية نحو تسعة أعشار الأرض الزراعية فى روسيا . وكانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة ورتب سامية فى الجيش ووظائف الحكومة ، بينما كان غالبية الشعب عبيداً مسخرين. وكان ذلك الوضع أشبه بالوضع فى فرنسا قبل اندلاع الثورة الفرنسية . وهو النظام الذى يوصف بالأوتوقراطية .. أى يعتبر القيصر وحاشيته فى حكم السيد أما بقية الشعب فى حكم العبيد المسخرين .

ولذا كان من الطبيعى أن تجد الشيوعية أرضًا خصبة لها فى روسيا القيصرية .



القيصر نيقولا الثانى آخر قياصرة روسيا



ستالين.. وماركس.. ولينين



• الشاب الثورى القادم :

انشغل ستالين فى مطلع حياته بالأفكار السياسية التى استحوذت على كل اهتماماته .

وانضم بعد طرده من المدرسة اللاهوتية فى تيفليس إلى حركة اشتراكية ثورية . وعمل كناشط سياسى اشتراكى فى جورجيا .

ومنذ سنة 1902 وعلى مدى عدة سنوات اعُتقل أكثر من مرة وأرسل للنفى فى سيبريا . لكنه كان ثوريًا عنيدًا لا يكف عن المشاكسة والتظاهر وتحريض العمال والفقراء ضد حكم القياصرة .

وفى تلك الفترة المبكرة من شبابه كان شديد الإعجاب بأفكار لينين الشيوعية والتى استمدها من أستاذه كارل ماركس .

فمن هو كارل ماركس .. الأستاذ ؟

ومن هو لينين .. التلميذ النجيب ؟

• كارل ماركس (1818 – 1883م) :

لم يكن ماركس روسيًا ، وإنما كان ألمانيًا من أبوين يهوديين .

تعلم فى جامعة بون ثم برلين " ، واشتغل صحفيًا .. وانتقل للعيش فى بروكسل ببلجيكا . ثم طرد منها بسبب مقالاته عن الملكية العامة وتحفيز

العمال على التضامن والتخلص من السلاسل الحديدية التى كبلتها بهم الطبقات المالكة المسيطرة .

ومن أقواله الشهيرة : "اتحدوا يا عمال العالم" . فكان يرى أن الحرية لن تتحقق إلا إذا أصبحت وسائل الإنتاج ملكًا للدولة أو للمجتمع كله ، لا ملكًا لأفراد بعينهم .



كارل ماركس

وشغل ماركس فيما بعد رئيس أول منظمة دولية لحقوق العمال .

ومن أشهر مؤلفاته التى تضمنت أفكاره عن الملكية العامة ، أو الشيوعية ، كتاب رأس المال (Das Kapital) الذى نُشِر جزء واحد منه ثم استكمل الجزء الثانى والجزء الثالث بعد وفاة صديقه الحميم "فريدريك انجلز" .

ولاقت أفكار ماركس عن الشيوعية أرضية خصبة لها فى روسيا .. وحملها معه إلى هناك تلميذه النجيب .. لينين .

• حاملو راية الشيوعية :

ماكدونالد ، ولينين ، وتروتسكى :

وبعدما توفى ماركس فى سنة 1883م ، راح أتباعه ينشرون دعوته إلى

الشيوعية وكان من أبرزهم رمزى ماكدونلد فى إنجلترا ، ولينين وتروتسكى فى روسيا .



تروتسكى

واقتنع لينين بنظرية ماركس وأضاف إليها من أفكاره ، وراح يدعو شباب روسيا إلى الالتفاف حوله ونشر تلك الأفكار الشيوعية .

وكان ستالين أحد أولئك الشباب الذين التفوا حول لينين ، وكون لينين وستالين ومولتوف وغيرهم نواة الحزب الشيوعى الروسى فى سنة 1905م .

• مبادئ الشيوعية :

ولكن ما المبادئ التى تحملها الأفكار الشيوعية التى دعا إليها كارل ماركس ؟

إن الشيوعية تقسّم المجتمع إلى ثلاث طبقات وهى :

الطبقة الرأسمالية :

وهى الطبقة المالكة للمال وأدوات الإنتاج .. والتى تسخر العمال لخدمتها .

الطبقة البرجوازية :

وهى الطبقة الوسطى من المجتمع والتى جنى أصحابها المال بطرق غير مشروعة كأغنياء الحرب .

طبقة البروليتاريا :

وهذه تمثل أكبر الطبقات من المجتمع وتضم العمال والفلاحين والفقراء الذين لا يملكون شيئًا .

وطبقة البروليتاريا هى الطبقة التى يؤيدها الشيوعيون . ويرى ماركس أنه لا سبيل لانتصار هذه الطبقة إلا من خلال الثورة التى تهدم كل أسس المجتمع وتعيد بناءه من جديد على أسس جديدة اجتماعية وسياسية واقتصادية تشتمل على ما يلى:

- إلغاء الملكية الفردية وتأميم جميع المؤسسات والمشروعات ووضع الأموال كلها فى يد الحكومة .
- إدخال نظام البطاقات للحصول على السلع والاحتياجات المعيشية ، بينما يُلغى نظام التجارة الداخلية .
- تطبيق نظام محدد للأجور .. "كل على حسب قدرته وعلى حسب حاجته" .
- القضاء على التقاليد والعادات القديمة المتوارثة ونظام الأسرة بحيث تتاح حريات أكبر لا تتقيد بمبادئ الفضيلة والأخلاق[1]!

---

(1) محاربة الشيوعية للأديان واتهامها للدين بأنه أفيون الشعوب . وتعارض مبادئها الهدامة للفطرة ورغبة الإنسان فى التملك وترويع الناس وترويجها للأحقاد والضغائن بين الناس بعضهم البعض أدى إلى فشلها وسرعة سقوطها وساعد على زوالها سريعًا (الناشر) .

• فردريك أنجلز :

ويقول أنجلز ، وهو صديق ماركس وأحد دعائم الشيوعية ، عن المخطط الشيوعى "تقبض البروليتاريا على سلطة الدولة بعد القضاء على جميع طبقات المجتمع الأخرى ، ثم تنتقل وسائل الإنتاج والملكية منذ اللحظة الأولى إلى ممتلكات الدولة " .



فردريك أنجلز

ويقول ماركس : "لن تستطيع البروليتاريا التحرك ولا النهوض بنفسها ما لم تنسف جميع طبقات المجتمع المتراكمة فوقها" .

وبذلك فإن الأفكار الشيوعية تريد هدم المجتمع وتحويله إلى طبقة واحدة يتساوى فيها الجميع ، وهو من الواضح ما لا يتفق مع طبيعة المجتمعات البشرية ، ويلغى عامل المهارة والمنافسة الشريفة للوصول إلى الأفضل .

• أفكار مشابهة للشيوعية سبقت عصر ماركس :

يُطلق على ماركس نبى الشيوعية ، فهو مبتكر الاتجاه الشيوعى .

ولكن فى الحقيقة أنه قبل ظهور شيوعية ماركس بسنوات طويلة ظهرت أفكار شيوعية هدامة مشابهة .

• أفلاطون :



لقد وقعت حروب طويلة بين أثينا وإسبرطة بسبب الرغبة فى النفوذ والاستحواذ على المال والسلطة .

ودعا الفيلسوف الإغريقى أفلاطون منذ نحو 400 سنة قبل الميلاد لفكرة "المدينة الفاضلة" للتخلص من أهوال الحروب والعيش فى سلام . ولكن من ضمن أسس تلك المدينة الفاضلة ما يجعلها غير فاضلة على الإطلاق .. حيث دعا أفلاطون لشيوعية المال والنساء فى تلك المدينة . فلا يحق لأحد تملك أرض أو مبانى وتصبح النساء مشاعة .. وعندما تلد إمرأة ولا يُعرف نسب طفلها يصير ابن الدولة !

• مزدك :

وفى القرن الثالث الميلادى دعا مزدك الفارسى إلى نفس المبدأ أى إلى شيوعية المال والنساء بعدما استولى الأثرياء على المال وحرموا الفقراء من المعيشة الكريمة . ولكن دعوته باءت بالفشل ولم يتحمس لها الكثيرون .

إن كل تلك الأفكار عن الشيوعية كانت أفكارًا طائشة ومجنونة تعتمد فى حقيقة الأمر على الإلحاد . وهو ما لا يتوافق مع طبيعة النفس البشرية التى تتوجه بفطرتها للخالق عز وجل .



• **لينين (1870 – 1924م) :**

اسمه الأصلى "فلاديمير إليتش إليانوف" .. وُلد فى مدينة هادئة صغيرة على نهر الفولجا .

وتفتحت عيناه على أحوال بلاده المتدهورة : قيصر متخاذل.. ملايين الفقراء والجوعى .. كنيسة مضطربة.. طبقة من النبلاء استحوذت على ثروات البلاد .

وظهرت أفكاره الثورية بوضوح أثناء دراسته الجامعية للقانون والتى انتهى منها عام 1891 م. وعمل بعد ذلك بمجال المحاماة .

وآمن بأن أفكار كارل ماركس عن الملكية العامة أو الشيوعية هى الملاذ الوحيد للخروج بالبلاد من أوضاعها المتردية .

وبدأ يعلن عن أفكاره الثورية ونشاطاته السياسية فى سان بطرسبرج [1] .

واُعتقل أكثر من مرة . ونفى إلى سيبريا . وهناك اكتسب اسم لينين .. والذى جاء نسبة إلى نهر لينا .

وبعد عودته من المنفى ، غادر البلاد إلى ألمانيا لمواصلة نشاطه الثورى من هناك .

---

(1) العاصمة القديمة لروسيا القيصرية (الناشر).

وفى سنة 1898م نظم الماركسيون بزعامة لينين حزب العمل الاشتراكى الروسى .. وأصدر الحزب جريدة شهيرة حملت أفكار الحزب الثورية وهى جريدة ايسكارا (أى الشرارة) وكان لينين أحد محررى تلك الجريدة .

وبعد عدة سنوات ، أو فى عام 1903م ، انقسم الحزب على نفسه ، فصار هناك مؤيدون للينين وهم اللينينيون أو البولشفيك أو البلاشفة (بمعنى الأغلبية) والذين صاروا يمثلون الشيوعية الروسية .. وصار هناك المنشفيك (بمعنى الأقلية) والذين صاروا يمثلون الاشتراكية الغربية .

وبذلك بدأ ظهور ما عرف باسم حركة البلاشفة .. والتى سميت فيما بعد بالحزب الشيوعى والذى ترأسه لينين .

وبعد هزيمة روسيا فى الحرب العالمية الأولى وانهيار حكومة القيصر نيقولا الثانى ، عاد لينين إلى روسيا فى سنة 1917 ودعا إلى ثورة شعبية لإنهاء عهد القياصرة وإرساء حكومة جديدة بلشفية . وأصبح لينين حاكمًا لروسيا الجديدة .

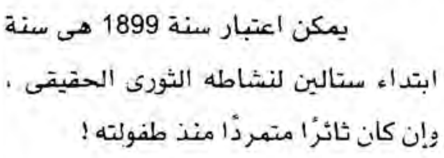
وفى فترة لاحقة ، تحولت إمبراطورية روسيا القديمة إلى جمهوريات متحدة تحت اسم الاتحاد السوفيتى والذى اتبع نظامًا شيوعيًا فى الحكم استمر حتى سنة 1991م حيث انهارت الشيوعية .





الثورى المحترف
(ستالين فى مطلع العشرينيات من عمره)

• مسجل خطر !



يمكن اعتبار سنة 1899 هى سنة ابتداء ستالين لنشاطه الثورى الحقيقى ، وإن كان ثائرًا متمردًا منذ طفولته !



ستالين في شبابه

فى تلك السنة انتقلت فكرة الاشتراكية الماركسية من أوربا إلى روسيا ووجدت لها أنصارًا كثيرين . وتأسس فى روسيا ما عرف بحزب العمال الاشتراكى الروسى . وكان ستالين من أبرز أعضائه وقد بلغ سن العشرين عامًا.

وكان ستالين فى تلك الفترة يبدو شابًا قوي البنية صارم الملامح تحمل عيناه شيئًا من الغموض الممتزج بالقسوة وكان يمشى مرفوع الرأس واثقًا من نفسه وأطلق شعر شاربه ولحيته ذات اللون الأسود الكثيف ، وهو ما أضاف على ملامحه مزيدًا من الصرامة.

وكان يلتقى بالعمال ، كعمال السكك الحديدية ومصانع التبغ ومصانع الأحذية ، ويحدثهم عن الأفكار الاشتراكية التى تساوى بين الطبقات والتى تُعتبر المخرج الوحيد من حياتهم القاسية . وقد نجح بالفعل فى كسب قاعدة عريضة من المؤيدين له .

واستطاع تحريض العمال على المظاهرات والثورة . ففى عام 1900م اندلعت مظاهرات حاشدة فى "تفليس" لكن الشرطة واجهتها بحزم وعنف مما أدى إلى سقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى . وقبض على ستالين . وأصبح مسجلاً لدى أجهزة الشرطة .

وفى السنة التالية تركز نشاطه فى "باطوم" وهى منطقة من القوقاز غنية بالبترول يقطنها العديد من العمال .. واستطاع أن يحرضهم على مهاجمة السجن الذى احتشد بالمتمردين والمتظاهرين وهو ما أدى لوقوع عدد كبير من القتلى .

وأصبح ستالين واحدًا من أبرز الناشطين السياسيين الذين تبحث عنهم أجهزة الشرطة .

واتخذ لنفسه عدة أسماء مستعارة بغرض التضليل مثل نيجرادزيه وايفانوفيتش وداقيد وغير ذلك .

وصار ستالين أحد الشخصيات الهامة المطلوبة للشرطة (Wanted) .

وفى نفس السنة (1902م) استطاع رجال الشرطة التوصل إلى ستالين وألقوا القبض عليه . وتم إيداعه السجن لبضعة أشهر ثم تم ترحيله إلى سيبريا ليقضى هناك مدة ثلاث سنوات .





ستالين فى منفاه .. فى سيبريا

• لقاء الثوريين على الأرض الجليدية :

كانت سيبريا ، فى أقصى الشمال الروسى ، أرضًا شاسعة شديدة البرودة . محدودة السكان ، تتميز بشتاء قارص البرودة تتجمد فيه البحيرات والأنهار ، ولا يعرفها جو الصيف اللطيف إلا لفترة محدودة من السنة .

ولذا فإن المَنْفِى فى سيبريا كان يقدَّر له أن يعيش معزولاً وحيدًا معرضًا لخطر الموت بسبب البرد الشديد ، وقلة الطعام ، وأمراض الصدر .. والسعال .. والتى كان يخشاها ستالين بسبب علة أصابت رئتيه فى الآونة الأخيرة وجعلته معرضًا للإصابة بالسل الرئوى .

ولكن فى الحقيقة أن تلك الفترة التى قضاها ستالين فى سيبريا جاءت عكس توقعات السلطة فى روسيا فقد ساعدت ستالين على تقوية دوره كناشط سياسى مناهض للحكم .

ففى سيبريا ، التقى ستالين مع بعض المفكرين والسياسيين الذين نَفَتهم السلطات الروسية إلى هناك . وبذلك توفرت لستالين أمسيات ثقافية سياسية تزوَّد خلالها بمعارف وثقافات ساهمت فى نموه الفكرى والثقافى ، وكانت بمثابة مجالس للتعليم الذى حُرم منه منذ فترة صباه .

وهناك قرأ ستالين كتبًا كثيرة ، كان من أبرزها كتاب "رأس المال" لماركس . وكان يقرأه بشغف كأنه بمثابة فتح جديد للخروج من ظلم القياصرة



واستبدادهم . وكان يقرأ مقاطع منه على بعض رفاقه فى المنفى ويشرح لهم أفكار ماركس وما يمكن أن تعود عليهم به من حياة أفضل .

• مغامرة الصيد :

وعلى جانب آخر . كان ستالين يقضى بعض الوقت فى القيام بالصيد ، تلك الهواية التى كان يحبها .

فكان يصطاد الحيوانات التى تجوب فوق الجليد .

وكان يركب مركبًا ليصطاد الأسماك من مياه الأنهار فى فترات انسيابها وزوال الجليد عنها .

ومن الروايات الغريبة والطريفة التى ذكرت عن ستالين رواية جاء فيها أنه كان فى يوم يقود قاربه الخشبى أثناء رحلة صيد فوق النهر .. وَجَرفه القارب بعيدًا واضطر لاجتياز منطقة نهر متجمد وأثناء ذلك فاجأته رياح قطبية شديدة حطمت قاربه وأخذ يصارع الرياح وسط الماء المثلج حتى تمكن بصعوبة من الوصول إلى الشاطئ وكان متعبًا جريحًا .. واتجه بخطوات متعثرة إلى منزل قريب وارتمى على بابه . فقام أهل البيت الريفى بإسعافه وتقديم السوائل الساخنة له حتى بدأ يستفيق من غشيته .

ويذكر أن تلك الحادثة قد أكسبته مناعة ضد مرض السل الذى كان معرضًا للإصابة به !

ولم يقضِ ستالين كل المدة التى كان مقررًا له قضاؤها فى سيبريا .. حيث تمكن من مغافلة حراسه والهرب من سيبريا ليعود مرة أخرى إلى تفليس .

• ستالين ينضم للبلاشفة :

ولما عاد إلى تفليس وجد الحزب الاشتراكى قد انقسم إلى البلشفيك (أو البلاشفة أو اللينينيين) والمنشفيك . وكان ذلك فى سنة 1904م . وأصبح ستالين أحد أعضاء حركة البلاشفة فى تفليس وأصبح ستالين مرة أخرى مطاردًا من قبل رجال الشرطة وحُدِّدت أوصافه على النحو التالى ، كما جاء فى سجلات مراكز الشرطة :

- الطول : 4.5 فرشوك
- متوسط العمر : 23 عامًا
- الشعر : أسود
- الأنف : مستقيم طويل
- الوجه : مستطيل .. به ندوب لمرض الجدرى
- علامات مميزة : شارب وذقن بشعر أسود ، ووجود التصاق بين إصبعى اليسرى الثانى والثالث .



صورة لستالين من سجلات الشرطة







لص البنوك

• ستالين .. المجرم :

منذ سنة 1905م ، ظهر النشاط الإجرامى الإرهابى لستالين فى السطو على المال العام بتدعيم من البلاشفة بغرض تمويل الخلايا الثورية .

وترأس ستالين عدة عمليات إرهابية للسطو المسلح على البنوك ومكاتب الصرافة وعربات نقل النقود .

كان من أبرزها تلك العملية التى وقعت فى ميدان "اريفان" فى تيفليس فى سنة 1907م حيث هاجم ستالين ورفاقه عربة نقل نقود .

فى ذلك اليوم تحول الميدان إلى كتلة من نار ودخان حيث ألقى ستالين ورجاله عدة قنابل متلاحقة على حراس عربة النقود وتوالت طلقات الرصاص وانتشر الفزع فى كل مكان ووقع العديد من القتلى والجرحى فى أرجاء الميدان.

واستطاع ستالين ورفاقه سرقة كم كبير من المال قدر بمئات الآلاف من الروبل الذى كان مخصصًا لنقله للخزانة العامة .

وصدر تقرير عن الحادث جاء فيه أن مدبر عملية السطو كان أحد تلاميذ لينين ويدعى دجوجا شفيلى (ستالين) وبدأ رجال الشرطة فى مطاردته من جديد.

ومن الطريف أن أحد رفاق ستالين فى تلك العملية وهو يهودى واسمه لتفينوف أراد الهروب والسفر إلى باريس وأثناء استبداله للعملة ألقى القبض عليه وأفشى بأسرار عملية السطو التى دبرها ستالين .



ستالين .. الرجل الفولاذى

• الناشط السياسى فى جورجيا :

وبرز نجم ستالين كناشط سياسى وثورى محترف فى تفليس . واستطاع أن يأخذ مكانًا بارزًا له فى المنظمة البلشفية المركزية فى جورجيا فى عام 1912.

وفى السنة التالية ، اكتسب الاسم الذى اشتهر به وهو ستالين .

ولكن .. من أين جاء هذا الاسم ؟ وما معناه ؟ إن كلمة "ستال" بالروسية تعنى الفولاذ .. أما الجزء الثانى من الاسم فهو منسوب إلى لينين . وبذلك يعنى هذا الاسم : الرجل الفولاذى اللينينى . أو الرجل الفولاذى .. إشارة إلى قوة وصلابة ستالين .

ولكن فى الحقيقة أن ستالين اكتسب أسماء أخرى كثيرة .. كان من أبرزها كوبا الذى أطلقه عليه زملاؤه القدامى .. والذى يحمل فى مضمونه معنى الثائر .

واكتسب ستالين دور البطل الشعبى فى جورجيا الذى يسعى لتخليص الفقراء من الظلم والقهر .. فكان أشبه بالبطل الشعبى الأسطورى الجورجى الأصل روبين هود !

• هل كان ستالين ثوريًا مخلصًا ؟!

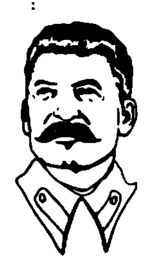
لقد كان ستالين إنسانًا غامضًا لا يتكلم كثيرًا واكتسب اسماء مختلفة . وهناك فى الحقيقة روايات شككت فى دوره الوطنى .

فزعم البعض أنه كان جاسوسًا وليس بلشفيًا خالصًا .

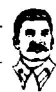
فصار هناك اعتقاد بأنه كان يعمل جاسوسًا لحساب القيصر من خلال اندساسه فى حركة البلاشفة .

ومن المحتمل أيضًا أنه كان يلعب على الجانبين .. وهو قادر على ذلك.. فستالين ليس هو ذلك الشخص الذى نتوقع منه ولاءً لمجموعة أو لأفراد !

ومن ناحية أخرى . فإن ستالين لم يكن روسيًا خالصًا ، وإنما كان جورجيًا ينتمى للأقليات ويتحدث بلهجة روسية جورجية . وقد أراد بتغيير اسمه إلى ستالين اكتساب صفة القومية الروسية .. أى الشخص الذى يدافع عن روسيا .. لكنه فى الحقيقة كان يحمل بداخله إحساسًا بانتمائه لأقلية منبوذة ، وقد انعكس ذلك على تكوين شخصيته الحادة الصارمة الوحشية .









روسيا القيصرية



• كيف عاش الروس فى زمن نيقولا الثانى :

عندما ظهرت فكرة الشيوعية فى العالم الأوربى كان الشعب الروسى يعانى الأمرين من قسوة النظام الحاكم الذى ترأسه القيصر الثانى آخر قياصرة أسرة رومانوف .

فقد كان حاكمًا قاسيًا ظالمًا متخاذلاً لم يشأ اتخاذ أية خطوات جادة للإصلاح والارتقاء بمستوى معيشة الروس . وقام بتقييد الحريات ، وزج بالآلاف من المعارضين والمتمردين إلى ظلمات السجون ، ونشر جواسيسه فى كل مكان للتجسس على أبناء الشعب ، وحرم الناس من كثير من حقوقهم الشرعية .

• منظمة الأُخرانا :

وكان من أبرز مظاهر الظلم والاستبداد والقهر الذى عانى منه الروس فى عهد نيقولا الثانى إنشاء منظمة سرية شديدة البطش والقسوة وهى منظمة "الأُخرانا" التى يتجسس أفرادها على الشعب للوقوف ضد أى حركات مناهضة للحكم . وقيدت حرية الصحافة ، وصادرت كل الكتب التى يمكن أن تثير سخط الناس على الوضع السياسى الراهن وتحفزهم على الثورة .

وكان من أهم وأبرز تلك الكتب الممنوعة كتاب رأس المال (Das Kapital)



الذى كتبه كارل ماركس والذى هدف مضمونه إلى تحفيز الطبقة العمالية على الاتحاد والثورة ضد الرأسمالية . وكانت كتابات كارل ماركس بصفة عامة أشبه بالأفيون الذى يحاول البعض تهريبه سرًا إلى روسيا القيصرية بينما بذلت الشبكات السرية أقصى جهودها لمنع دخول تلك الكتابات إلى روسيا لحماية البلاد من نشوب الثورة ضد القيصر والنظام الحاكم .

وكانت القطارات القادمة من خارج روسيا تخضع أحيانًا للتفتيش تبحث عن أية كتب مهربة إلى روسيا ، وعلى رأسها كتاب رأس المال .

• روسيا تدخل الحرب العالمية الأولى :

وكان قرار القيصر بدخول الحرب العالمية الأولى التى نشبت فى سنة 1914 بمثابة طعنة جديدة وجهها لأبناء شعبه ، حيث أدرك الروس أنهم بانتظار مرحلة جديدة أشد قسوة وفقرًا مما هم عليه لأن دخول الجيوش القيصرية تلك الحرب الكبرى يعنى تعرُّض البلاد لمزيد من الدمار والخراب والإفلاس .

وقد حدث بالفعل ما كان متوقعًا ، فقد خسرت الجيوش القيصرية فى تلك الحرب خسارة فادحة . وتعرضت البلاد لتدهور شديد فى الأحوال الاقتصادية ، وأعلن العمال احتجاجهم ، وأضربوا عن العمل . وكانت تلك الأحداث هى البداية لاشتعال نار الثورة .

والحقيقة أنه كان وراء تدهور الأحوال الاقتصادية للبلاد ودخول روسيا الحرب شخصية غامضة غريبة الأطوار كانت تحرِّك فى الخفاء الأمور السياسية فى روسيا بعدما استطاعت السيطرة على شخصية القيصر وزوجته القيصرة هذه الشخصية هى الكاهن الروسى المعروف باسم راسبوتين .

• من هو راسبوتين؟

لقد كانت شخصية جريجورى راسبوتين غريبة ومثيرة ، وكانت قصة اغتياله أكثر غرابة وإثارة !

راسبوتين هو مزارع روسى وكاهن مسيحى تخفّى وراء قناع التدين والدعوى إلى مبدأ دينى حتى استطاع أن يصل إلى بلاط القيصر نيقولا الثانى وينعم بالنفوذ والسلطة .

ظهرت شهرة راسبوتين فى روسيا فى فترة ما قبل وخلال الحرب العالمية الأولى حتى تم اغتياله فى 16 ديسمبر 1916 وقبل قيام الثورة الروسية بعام واحد .

أما شكل راسبوتين فكان هو الآخر مميزًا ينطوى على شىء من الغموض والوحشية . فكان جسمه ممتلئًا قويًا يتدلى فوق وجهه شعر أسود ناعم غزير يقابله من أسفل شارب عريض ولحية طويلة سوداء تتدلى إلى منتصف صدره. وكان أبرز ما فى ملامحه عينيه المميزتين جدًا بنظرتهما الغامضة المخيفة .

وقد امتلك راسبوتين قدرة كبيرة على الإقناع وإخضاع الطرف الآخر لرأيه ورغباته .



راسبوتين

• ابن القيصر المريض :

وعرف راسبوتين طريقه إلى قصر الحاكم لأول مرة عندما دُعى لعلاج ابن القيصر نيقولا والذى كان مصابًا بمرض يؤدى لنزف متكرر (مرض هيموفيليا) نظرًا لما شاع عنه بأنه يمتلك مقدرة خاصة على معالجة المرض بفضل حكمته ومواهبه الخاصة واستطاع راسبوتين فى وقت قصير أن يثبت وجوده داخل البلاط وأصبح مستشارًا خاصًا للقيصرة اليكسندرا فيودوروفتا زوجة القيصر نيقولا . ومع ومرور الوقت . وبفضل شخصيته القوية المؤثرة . استطاع أن يمسك زمام الكثير من الأمور السياسية والاجتماعية وأن يزيح من أمامه كل من يعترضه وأن يساند كل من يناصره . وقد ساعده فى ذلك القيصر نيقولا والذى كان ضعيف الشخصية .

• السياسى الجاهل !

وتبعًا لذلك فإن راسبوتين صار يتحكم بدرجة كبيرة فى مسار السياسة الروسية . وكان لذلك الأمر خطورته لأنه لم يكن مؤهلاً لذلك بأى حال من الأحوال فكان مجرد رجل مخبول كما وصفه البعض .

وزادت خطورة نفوذ راسبوتين داخل البلاط الملكى عندما بدأت تشتعل نيران الحرب العالمية الأولى .. ففضلاً عن أنه حرَّض القيصر على دخول تلك الحرب فإن تدخله بجهل فى الأمور السياسية بعد نشوب الحرب جعل البلاد على حافة الهاوية . ولذا رأى البعض أنه لابد من اغتياله . والحقيقة أنه قد تم على مدار فترة طويلة من الزمن محاولات عديدة للإطاحة براسبوتين ولاغتياله لكنها باءت جميعها بالفشل فلم يكن من السهل التخلص من ذلك الرجل القوى المخيف.

ففى سنة 1913 ، دارت بعض الحروب فى أرض البلقان ، ورأى كثير من الكهنة والسياسيين ضرورة اشتراك روسيا فى تلك الحروب للدفاع عن أراضى البلقان ومناصرة جيرانها من الشعوب لكن راسبوتين عارض ذلك واستطاع أن يقنع القيصر بعدم التورط فى تلك الحروب[1] .

وقد أثار ذلك البعض فاشتكوا راسبوتين فى الكنيسة الأرثوذوكسية العامة وطالبوا بتجريده من درجته .

وتولى توجيه تلك الاتهامات كاهن يدعى "اليدور" وطالب إما بعزل راسبوتين أو عزله هو شخصيًا .

لكن المجلس الأرثوذكسى تغاضى فى الحقيقة عن أخطاء راسبوتين وقام بعزل "اليدور" وتجريده من درجته .. !

وفى نفس العام تم تدبير محاولة لاغتيال راسبوتين .. حيث أغراه مجموعة من المتآمرين بحضور أحد اللقاءات .. وكان المتآمرون ينوون احتجازه بالمنزل وتعذيبه .. لكن راسبوتين استطاع بذكائه أن يعرف أن هناك مؤامرة ضده . ولم يذهب !

• أغرب جريمة قتل .. !

أما حادث اغتيال راسبوتين الذى نجح تنفيذه فإنه تم بطريقة غريبة للغاية مملوءة بالدهشة والإثارة لا بسبب طريقة الاغتيال نفسها وإنما بسبب مقدرة راسبوتين الغريبة على مقاومة الموت وتشبسه بالحياة رغم استخدام أكثر من وسيلة فعالة لقتله.

---

(1) كانت الكنيسة الأرثوذوكسية من المحرضين دائمًا على الحرب ضد الدولة العثمانية واستنزافها والتدخل فى شئون دول البلقان التى كانت تخضع للدولة العثمانية الأمر الذى يفضح دورها الخطير والخفى والمشبوه ضد الدول الإسلامية .. وكم عانت دول مثل البوسنة وكوسوفا ومقدونيا من هذا الدور المشبوه . (الناشر).



وقد خطط لذلك الاغتيال أحد أعضاء البرلمان الروسى ويدعى يوسوبوف والذى كان يكن كراهية شديدة تجاه راسبوتين خاصة بعد أن تدهورت الحالة الاقتصادية فى روسيا تدهورًا شديدًا بسبب دخولها الحرب العالمية الأولى .

واشترك فى تنفيذ حادث الاغتيال مجموعة من الطبقة الارستقراطية. كان من بينهم طبيب وضابط واتفقت المجموعة المتآمرة على دعوة راسبوتين إلى قصر فيلكس (أحد الشخصيات البارزة) للاشتراك فى حفل ساهر .

وكانت تقضى الخطة بتقديم طعام مسموم لراسبوتين ثم نقل جثته وإلقائها فى نهر "مويكا" القريب من المنزل .

وبعدها ذهب راسبوتين للقصر ، قُدم إليه قطعة من الحلوى وشراب تم خلطهم جميعًا بالسم (بمادة سيانيد البوتاسيوم) فتناول راسبوتين الحلوى والشراب.. وكانت المفاجأة أن راسبوتين لم يتأثر جسمه بالطعام أو الشراب المسموم .. إذ أنه ظل محتفظًا بحيويته ولم يشكُ من أى شىء سوى إحساس بسيط بثقل فى الدماغ .

وأمام ذلك الوضع الغريب اضطر يوسوبوف ، قائد المؤامرة ، إلى مجاراة راسبوتين فى الحوار لتضييع الوقت لعل تأثير السم يظهر عليه .. لكنه مضى وقت كاف دون حدوث أى تأثير !

فاتصل يوسوبوف ببقية المتآمرين واتفقوا على أن يقتله يوسوبوف بالمسدس وانتهز يوسوبوف فرصة طلب راسبوتين لمزيد من الشراب وأثناء إحضاره له قام بتخبئة المسدس داخل سترته .

وكان راسبوتين أثناء ذلك واقفًا تجاه الحائط يتأمل فى إعجاب بعض التحف المعلقة على الحائط ، فلما دخل يوسوبوف عليه أكد له إعجابه هو الآخر بتلك التحف .

وأثناء تأمل راسبوتين لها دس يوسوبوف يده فى سترته وأخرج مسدسه وأطلق الرصاص على صدر راسبوتين . واستقبل راسبوتين طلقات الرصاص بدهشة شديدة ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وأخذ يترنح ثم سقط على الأرض ينزف بشدة دون حراك .

وذهب يوسوبوف إلى شركائه يخبرهم بمقتل راسبوتين وحينما عاد إلى مكان الجثة لنقلها ورميها بالنهر وفقًا للخطة فوجئ يوسوبوف براسبوتين ينهض من على الأرض ويحاول الإمساك به . وهو أمر كان لا يمكن تصديقه مما أصاب يوسوبوف بفزع شديد واستطاع بصعوبة أن يتخلص من قبضة راسبوتين القوية .. وانطلق يجرى لإحضار مسدسه لكن راسبوتين تسلل إلى ساحة القصر المغطاة بالجليد .. وبعدما علم أحد المتآمرين بما جرى – ويدعى بورشيكيفيتش – صمم على أن يغتال راسبوتين بنفسه . فجرى إلى ساحة القصر وأطلق على راسبوتين الرصاص فسقط مغشيًا عليه .. ثم قام بورشيكيفيتش بركل راسبوتين ركلة شديدة برأسه .

وقام يوسوبوف بإحضار خنجر وأخذ يضرب به راسبوتين فى أماكن متفرقة من جسمه ليتأكد من موته وليخفى معالم جثته حتى لا يعرفها أحد .

ثم قام بنقل راسبوتين وإلقائه فى المكان المتفق عليه وهو نهر مويكا القريب من القصر والذى كانت مياهه ثلجية فى تلك الليلة شديدة البرودة .

ومن الغريب أنه بعدما انتشل رجال الأمن جثة راسبوتين من النهر الجليدى أشارت الفحوصات التى أجريت على الجثة إلى أنه ألقى فى النهر وهو حى !

وبذلك فإن حادث اغتيال راسبوتين يعتبر حادثًا فريدًا من نوعه حيث استخدم فيه وسائل عدة للقتل وهى بالترتيب : السم – الرصاص – الضرب

- الأسلحة البيضاء (الخنجر) - الإغراق .. وهو ما لم يحدث أبدًا فى أى حادث اغتيال آخر..!

والحقيقة أن اغتيال راسبوتين صاحبه شعور بالارتياح خاصة بين الطبقات الأرستقراطية . أما طبقات المزارعين فقد أحس أغلبهم بعدم الارتياح لإحساسهم بأن راسبوتين الذى خرج منهم قد اغتيل على يد الطبقات الأرستقراطية .

أما القيصر والقيصرة فكانا فى دهشة بسبب ذلك الحادث .. لكن دهشتهما لم تدم طويلاً حيث انشغل القيصر بالاتهامات العديدة التى كشفتها التحقيقات فى حادث اغتيال راسبوتين وبالمؤامرة المتوقع قيامها ضده .

ولأسباب غير واضحة تمامًا استخرجت جثة راسبوتين فى مارس 1917م بواسطة إحدى فرق الجيش الروسى وأحرقت فى الطريق !



راسبوتين مقتولا





الثورة البلشفية



• نيران الغضب المتأججة :

إن نيران الغضب تجاه السلطة القيصرية لم تهدأ بعدما قُتل راسبوتين الذى كان يعتبره البعض بمثابة رأس الأفعى .. فقد ازداد تدهور الحالة الاقتصادية بسبب الحرب وزادت بالتالى حركات المعارضة وأعداد الثائرين ، وراح أفراد الحزب الاشتراكى وحزب الأحرار يلهبون حماس الشعب ويحثونه على الثورة ضد السلطة ، مما أدى بالفعل إلى قيام ثورة عارمة بالبلاد لم تستطع الشرطة القيصرية مواجهتها ، بل إن رجال الشرطة ذاتهم انضم أغلبهم للثورة بعدما فضلوا الخضوع لإرادة الشعب والإطاحة بالسلطة القيصرية .

• ثورة مارس الأولى :

وفى مارس من عام 1917 اندلعت ثورة عارمة فى شوارع بتروجراد (لينجراد فى عهد الشيوعية والآن : سان بطرسبرج .. عاصمة روسيا القديمة) وأرغم الثوار القيصر على التنازل عن العرش .

وتولى حكم البلاد رئيس حزب الاشتراكيين "ألكسندر كيرنسكى" ، والذى لجأ لعدة خطوات للإصلاح وحاول توفير الطعام والكساء للشعب وقام بفتح المعتقلات ، كما سمح للمنفيين بالعودة إلى البلاد . لكنه أراد أن تستمر روسيا فى الحرب بجانب الحلفاء ضد ألمانيا .



ألكسندر كيرنسكي

ولكن أين كان ستالين والبلاشفة من تلك الأحداث ؟

إن ستالين فى الحقيقة كان فى تلك الفترة شخصية غامضة مستترة تراقب الأحداث عن بعد ولم يكن له وجود سياسى واضح .. ولا لغيره من البلاشفة الشيوعيين .

ولذا يمكن القول بأن تلك الثورة التى سُميت بالثورة البلشفية الأولى لم يكن للبلاشفة فى الحقيقة دور فيها !

• عودة الشيوعيين المنفيين :

وبسقوط حكومة روسيا القيصرية بدأت الشيوعية تشق طريقها إلى روسيا وتصبح واقعًا بعدما كانت مجرد أفكار متداولة .

إنه بعدما سقطت حكومة القيصر ، وجاءت حكومة "كيرنسكى" رحبت بعودة المنفيين إلى البلاد . وكان من أبرزهم لينين وتروتسكى .

ولكن فى الحقيقة أن حكومة كيرنسكى لم تستمر طويلا حيث كانت هناك مؤامرات خارجية تدبر فى الخفاء للإطاحة بها .

فلقد أراد الألمان استغلال فرصة الإطاحة بالسلطة القيصرية وإقامة حكومة مؤقتة تولاها كيرنسكى فى تغيير مسار الحرب حيث دبروا للإطاحة بحكومة كيرنسكى الموالية للحلفاء لكسب روسيا إلى صفهم والاكتفاء بمواجهة القوتين الكبيرتين المتمثلتين فى إنجلترا وفرنسا .

ووجد الألمان أن الطريق لتحقيق ذلك يكون بعودة الشيوعية إلى روسيا وتدعيم الحزب الشيوعى للوقوف ضد الحزب الاشتراكى الذى ترأسه كيرنسكى.

كما أدرك الألمان أن لينين ، والذى كان منفيًا فى سويسرا وقتذاك، هو الرجل المناسب لتحقيق أهدافهم ، فاتصلوا به وتآمروا معه على قلب نظام الحكم، وتمكينه من فرض السيادة لحزبه الشيوعى مقابل وقف الحرب والتصالح مع الألمان .

وجهَّز الألمان للينين قطارًا خاصًا للعودة إلى وطنه ، وزودوه بصناديق ممتلئة بالذهب . وبالمنشورات المنادية لوقف الحرب والدعوة إلى السلام .

كما عاد أغلب الشيوعيين المنفيين إلى روسيا وعلى رأسهم (تروتسكى)[1] الكاتب والناشط السياسى والذى كان وقتذاك فى نيويورك يتكسب من عمله بالكتابة.

ودخلت البلاد مرحلة أخرى جديدة من الاضطرابات بعدما نجح لينين فى كسب تأييد الشعب له لوقف الحرب وإعلان الهدنة والثورة ضد حكومة كيرنسكى الداعية للحرب والمناصرة للحلفاء . واستطاع لينين وتروتسكى ورفاقهما من الشيوعيين أن يقلبوا الأمور رأسا على عقب بالخطب والمنشورات التى ملأت روسيا ونادت بوقف الحرب . وقد وجد الشعب فى هذه الدعوة إلى

---

(1) تروتسكى ، يهودى الأصل وشيوعى متطرف (الناشر) .

السلام الخلاص من ويلات الحروب التى خرَّبت بلادهم ، وقتلت أبناءهم ، وعرضتهم للمجاعات ، ولذا استطاع لينين ورفاقه كسب تأييد غالبية الشعب فى وقت قصير ، وانتشرت المظاهرات والاحتجاجات وسادت البلاد حالة كبيرة من الفوضى ..

• الثورة البلشفية الثانية :

واستمرت الفوضى والاحتجاجات حتى بلغت الأمور المضطربة ذروتها فى أكتوبر من نفس السنة 1917 حيث قام الشعب بثورة عارمة مطالبة بوقف الحرب واستبعاد كيرنسكى وكل المؤيدين لاستمرار الحرب . ولم يستطع كيرنسكى التصدى لتلك الثورة ، واضطر للتخلى عن منصبه للزعيم الجديد لينين .

وبذلك أصبحت روسيا على مشارف مرحلة تاريخية جديدة وبفكر جديد بينما تخلصت تمامًا من عهد القياصرة .

• البداية الحقيقية للشيوعية فى روسيا :

لقد كانت عودة لينين ، ومن بعده تروتسكى ، من المنفى إلى روسيا ودعوته إلى وقف الحرب وإعلان الهدنة وكسب تأييد الشعب له ونجاح ثورة أكتوبر التى أطاحت بحكومة كيرنسكى هى البداية الحقيقة للشيوعية فى روسيا .

لقد وقف الشعب الروسى بجانب لينين وأيده فى دعوته إلى السلام بعدما ذاق ويلات الحرب ولكنه فى حقيقة الأمر لم يؤيد الشيوعية نفسها بقدر تأييده لفكرة السلام ، وكان ينتظر قدوم مرحلة جديدة من الأمن والخير والسلام .

وقد نجح لينين فى إعلان الهدنة وكسب رضاء الشعب والوفاء بالوعد الذى تعهد به للألمان ، حيث قام بعقد معاهدة للصلح سميت بمعاهدة "بوست لوتفسك" فى سنة 1918م . ولكن فى مقابل ذلك استغل لينين فكرة الشيوعية أسوأ استغلال حيث جعل منها وسيلة لتسخير الشعب ، وكبت حريته ، وجعل من المشاركة الجماعية لخدمة الصالح العام والتى نادى بها ماركس مقتصرة على خدمة السلطة .

فبعدما تولى لينين الرئاسة ، شن حملة إرهاب واسعة ، وأغلق من خلالها جميع الأحزاب باستثناء الحزب الشيوعى الذى أصبحت له السيادة المطلقة ، وقيد الحريات ، وصادر كل الميول والاتجاهات المخالفة ، واقتاد آلاف الشباب إلى السجون والمشانق ، واختفت فى ظل ذلك جميع القيم والمبادئ الإنسانية ، وكانت حجة لينين التى تذرع بها فى سياسته الإرهابية الدكتاتورية هى الحفاظ على الصالح العام وسلامة أمن الدولة .

وبذلك تخلص الشعب الروسى من الدولة القيصرية وعهدها الظالم ولكنه فى الحقيقة أصبح يواجه رحلة أخرى من الظلم والاستبداد وانهيار القيم والشعارات الزائفة على يد الشيوعية التى اتخذ منها لينين وسيلة لقهر الشعب ومحاربة الأديان وتدمير القيم الإنسانية وهونفس المنهج الذى سار عليه من بعده ستالين ..





الشيوعية بين النظرية والتطبيق



• هل أنقذت الشيوعية روسيا الجديدة من الفقر والمعاناة؟

التطبيق العملى للشيوعية على يد لينين ومن بعده ستالين :



وضع ماركس نظريته الشيوعية ، وقام لينين ومن بعده ستالين بالتطبيق العملى لها بعدما أضافا لها من فكرهما لتكون محل التطبيق ، وكان الشعب الروسى هو الضحية وكل من آمن بالفكر الشيوعى وانخدع به .

لقد بدأت فكرة الشيوعية فى بادئ الأمر فكرة براقة ترفع من شأن الكادحين وتصد عنهم ظلم المالكين لكن ما اختبأ تحت عباءة الشيوعية كان الظلم بعينه والاستبداد بمصائر البشر وتدميرهم معنويًا وأخلاقيًا وجعلهم طواعية للسلطة .

ولقد عرفنا مما تقدم بعض ملامح الشيوعية التى دعا لها ماركس ..



وفى الجزء التالى سنتعرف بمزيد من الوضوح على مضمون الفكر الشيوعى وأهدافه ومبادئه والآثار التى ترتبت على التطبيق العملى للشيوعية فى عهد لينين ومن بعده ستالين .

• الدعوة إلى العنف :

إن ما حدث من مجازر فى الشيشان ومن قبلها البوسنة والهرسك ينم عن صفة العنف المتأصلة فى الروس والشيوعيين عمومًا والتى توارثوها عن أجدادهم القدامى .

فاللجوء للعنف أحد المبادىء الأساسية للنظرية الماركسية لأجل نشر الفكر الشيوعى .

لقد رأى ماركس أن تعاسة البشرية من وجود صراع طبقى بين طبقة البروليتاريا وهى الطبقة العريضة من المجتمع والتى تضم العمال الكادحين والفقراء وبين طبقة الرأسمالية والتى تضم أصحاب النفوذ وأدوات الإنتاج بالإضافة إلى الطبقة الوسطى والتى أطلق عليها ماركس طبقة البورجوازيين والتى ظهرت بطرق غير مشروعة . كأغنياء الحرب .

واعتبر ماركس أن العنف والثورة هما الوسيلة الوحيدة التى يجب أن تأخذ بها طبقة البروليتاريا للقضاء على طبقة الرأسمالية وتحقيق السيادة بحيث يتخلص المجتمع من النظام الطبقى بعاداته وتقاليده ودياناته حتى يتحقق مجتمع شيوعى يشترك فيه الناس فى خصائص موحدة .

وقد أخذ لينين بهذا المبدأ لكنه زاد عليه من معتقداته لخدمة السلطة وليس لخدمة البروليتاريا . ونفس الشىء سار عليه ستالين من بعده .

فقد رأى لينين أن طبقة البروليتاريا لن تستطيع أن تلعب هذا

الدور إلا إذا جاءتها القوة والمساندة من أعلى ولذا اعتبر أن اللجوء للعنف حق للسلطة وجعل من الحزب الشيوعى طليعة للطبقة العاملة وقال : "إن الحزب لا يمثل مصالح الطبقة العاملة فحسب بل إن وعيه للصراع الطبقى أكبر من وعى هذه الطبقة نفسها . وإن الحزب الشيوعى سيواصل السيطرة على الجماهير ، حتى الوقت الذى تصبح فيه على استعداد لقبول المجتمع الخالى من الطبقات".

وظهرت ميول لينين للعنف بمجرد توليه للحكم ، فراح يبطش ويشنق ويقيم المجازر وقضى على كل أصحاب النفوذ فى البلاد لكن الطبقة العاملة الكادحة والتى من المفروض أن يستخدم ذلك لصالحها لم تسلم كذلك من بطشه بحجة القضاء على المتآمرين والخارجين عن المبادئ الماركسية حفاظا على الصالح العام .

وأحاط لينين البلاد بسياج من حديد وأقام أسوارًا بين الشعب وحقه فى الحرية والحياة الكريمة بل وعزله عن العالم الخارجى . وأصبح الموت هو جزاء كل معارض وأصبحت أعمال النفى إلى مجاهل سيبريا عملا معتادا بين حين وآخر .

وهو نفس النهج الذى اتبعه ستالين بل كان أكثر عنفًا وقسوة .

ولعل أبرز ما يبرهن على اقتران العنف بالشيوعية إنشاء منظمة البوليس السرى التى عرفت باسم "تشيكا" .. والتى أسسها "فليكس ديزرزهنسكى" والتى اعتمدت وظيفتها على نشر الجواسيس فى كل أنحاء روسيا للتجسس على الشعب بما يخدم مصالح السلطة . لقد قامت تلك المنظمة بأعمال عنف وإرهاب غاية فى البشاعة ، فأسالت دماء الضحايا ، وزجت بالآلاف إلى ظلمات السجون، وأقامت المجازر ولم تفرق بين مذنب وبريء.

ويذكر أن عدد الذين أعدموا من الروس على يد رجال التشيكا فى الفترة ما بين 1918 إلى 1921 بلغ 12733 روسيًا !

ويقول ديزرزهنسكى عن دوافع هذه المنظمة : "إن التشيكا لابد أن تحمى الثورة وتقهر الأعداء حتى وإن شق السيف أعناق الأبرياء أحيانًا" .

ولقد كانت أغلب تعاليم لينين التى رددها على أسماع المحيطين به وذكرها فى كتاباته ومؤلفاته تحمل فى مضمونها إبراز أهمية اللجوء للعنف .

فيقول لينين فى كتابه "الشيوعية اليسارية" : ينبغى علينا أن نكون قادرين على الصمود أمام هذه المعارضة البورجوازية وأن نوافق على أية تضحيات ، وأن نلجأ وإذا دعت الضرورة ، إلى جميع أشكال الخداع ، والمناورات والوسائل غير الشرعية والمراوغات والحجج .. ويجب بذل كل تضحية ممكنة والتغلب على أعظم العقبات ، بغية تنفيذ عمليات التحريض والدعوة بصورة منتظمة وبدقة وصبر خاصة فى تلك المؤسسات والجمعيات والمنظمات ، حتى الأشد رجعية ، التى تنتمي إلى الجماهير البروليتارية أو نصف البروليتارية" .

ويقول كذلك فى كتابه "مجموعة الأعمال" : "يجب أن يكون هدفنا العمل على تسليح البروليتارية ونزع السلاح عن البرجوازيين وإضعافهم ليتسنى لنا قهرهم وإخضاعهم" .

كما يوضح لينين أهم أهداف الثورة الشيوعية قائلا : "فالثورة هى أشد ما يمكن أن يكون الاستبداد ، إنها عمل يفرض به جزء من الشعب إرادته على الجزء الآخر بالحرب والبنادق والمدافع فهى وسائل استبدادية ، وعلى الحزب الذى أدرك الغلبة أن يحافظ على سلطته بالقهر الذى تلقيه أسلحته فى صفوف الرجعيين" .

وأسلوب العنف الذى انتهجه لينين فى إرساء قواعد الشيوعية أراد أن

يكون أسلوبا خارجيًا كذلك لفرض النظام الشيوعى على المجتمع العالمى ، وهو ما انتهجه ستالين من بعده ، وقد عبر ذلك بهذا التحدى الذى أعلنه للسياسة الشيوعية :

"يجب أن نتهيأ لخوض الحرب ، إذ لا يمكن أن نتجنبها ، فهى آتية ولسوف تأتى .. فقللوا من الكلام والضجيج ، وهيئوا قواتكم ، إن الحرب الثورية آتية ، وليس بيننا نحن الشيوعيين أى خلاف حول هذا الموضوع .. فحين نطيح بالبرجوازيين ونقهرهم قهرًا تامًا ونستحوذ على مخلفاتهم فى العالم كله — وليس فى بلد واحد فحسب — عندئذ فقط تصبح الحروب مستحيلة الوقوع" !

• القضاء على الأديان :

الشيوعية لا تعترف بدين ، ولا بوجود إله ! فمن المبادئ الشيوعية الأساسية الدعوة إلى الإلحاد والحياة المادية البحتة .

وهذا ما يؤكده ماركس بقوله : "لا إله والحياة مادة" .

ويؤكده لينين بقوله المشهور : "الدين هو أفيون الشعوب ، وهو نوع من الخمر الروحية ، يغرق فيها عبيد الرأسمالية صورتهم الإنسانية ، والبحث عن الله لا فائدة فيه ، ومن العبث البحث عن شىء لا وجود له ، لابد من محاربة الدين هذا هو لب الماركسية ، وينبغى أن نعرف كيف نحارب الدين" .

ويقول كذلك : "الدين نوع من "سيفوخا" — وهى أردأ أنواع الفودكا ذات رائحة كريهة — يريد عبيد المال أن يدفنوا أخلاقهم فيه" .

وبذلك نرى أن عداء الماركسية للدين عداء واضح ومثبت .

فالشيوعيون يرون أن الدين يضعف من همم الشعوب ويدعوهم

للتخاذل.. ويستخدمه الرأسماليون كوسيلة لتخدير طبقة البروليتاريا وإسكاته عن النضال بحشد عقولها بالخرافات والأوهام المرتبطة بالأديان!..

(ألا خرصت ألسنتهم وتبت أيدي هؤلاء الملحدين الحاقدين الذين نصبوا أنفسهم آلهة من دون الله يرهبون الشعوب ويحكمونهم بالحديد والنار !!).

ولكن كيف يفسر الشيوعيون وجود الإنسان والدنيا ؟

إن الشيوعيين يرون أن الإنسان أوجدته الطبيعة . كما أوجدت الدنيا كلها . وحدث ذلك بمحض الصدفة !

فهم يرون أن الأرض وجدت فى البداية . ومن الماء والأمطار تكونت البحار . ونمت بها القواقع . وخرجت منها الديدان . وتحولت إلى أسماك، خرجت منها ثعابين . وتحولت إلى قردة . وتطورت القردة إلى مخلوقات بشرية!!

ولا شك أن إلحاد الشيوعيين ودعوتهم للقضاء على الأديان واعتناقهم لمبدأ الحياة المادية البحتة أباح لهم أن يهدروا كل القيم والمبادئ ويدوسوا عليها بأقدامهم القذرة !

واعتبرت الشيوعية أن كل من يعتنق دينًا ، أيًا كان هذا الدين ، لا يمكن أن يكون شيوعيًا .

ولذا عندما دخلت الشيوعية روسيا مع عودة لينين كان من أبرز أساسيات الحكم الشيوعى محاربة الأديان بكافة أنواعها سواء الدين الإسلامى أو المسيحى أو اليهودى أو غير ذلك .

وبدأت فى عهد لينين حملة لمحاربة الأديان وتنشئة الأطفال على الإلحاد، وأصدر الحزب الشيوعى بيانًا للمدارس والجامعات فى مختلف أنحاء روسيا جاء فيه :

"إن المعلم الذى يؤتمن على تعليم النشء لا يمكنه ولا ينبغى له أن يكون حياديًا فى موقفه من الدين ، وليس عليه أن يتخلص من الإيمان فحسب ، بل أن يقوم كذلك بدور إيجابى فى الدعوة إلى عدم الإيمان بوجود إله وأن يكون داعية متحمسًا إلى الإلحاد" !!

واعترف الحزب الشيوعى علنًا بمحاربته للأديان والدعوة إلى الإلحاد فقد جاء فى إحدى مؤتمرات الحزب الشيوعى التصريح التالى : "إن الحرب ضد الدين تشغل مكانًا بارزًا فى الثورة الثقافية ، ونحن نعترف بحرية الضمير ولكن كل الوسائل ينبغى أن توجه ضد الدين لتكون التربية على أساس التصور المادى للدنيا فقط" .

وبالنسبة لموقف الروس من نشر الشيوعية فى الشرق المسلم فقد أعلن مولوتوف[1] فى إحدى خطبه عن نيات الشيوعية فى محاربة الدين الإسلامى.. فقال : "لن تنتشر الشيوعية فى الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الحجاز وإلا إذا قضينا على الإسلام" .

كما عزم الشيوعيون على الدعوة إلى الإلحاد فى أوربا ومحاربة المسيحية مما أثار ضدهم رجال الدين المسيحى .

لقد كان عداء الشيوعية للدين فى عهد لينين وما تبعه عداء قويا ، فأباح الدستور تحويل أى كنيسة أو مسجد إلى مصنع أو مخزن للغلال أو اسطبل للخيل، وصدرت مراسم بمحاربة تعليم الدين فى المدارس .

وأصبح كل من يتمسك بالدين خارجًا عن مبادئ الشيوعية واستحق بذلك السجن أو النفى . وصارت هناك حرب واضحة ضد الأديان بين طبقات العمال. وهذا ما دعا إليه صراحة لينين فى كتابه "الاشتراكية والدين" .. فقد جاء فيه ما يلى :

---

(1) مولوتوف، وزير خارجية روسيا في عهد ستالين ومتزوج من ابنة رجل أعمال ثري يهودي. (الناشر).



"إن حزبنا هو رابطة بين مناضلين متقدمين واعين طبقيًا لتحرير الطبقة العاملة ، ومثل هذه الرابطة يجب أن تكون مختلفة عن الجهل والغموض الذى يتمثل فى العقائد الدينية . إن من أسس إنشائنا للحزب ، أن نشن حربًا ضد الحماقات الدينية بين العمال" .

• من الإلحاد إلى الإيمان :

نحن لسنا بحاجة هنا لكى ننفى هذا المبدأ الشيوعى الآثم ، إذ أن جميع الأدلة العقلية والعلمية والفلسفية تدل بصورة بديهية على وجود خالق لهذا الكون .تلك الحقيقة البسيطة المؤكدة التى يمكن أن يدركها الإنسان البسيط والعالم الفذ . كما أن حاجة الإنسان للإيمان بالله حاجة فطرية لا يستطيع أن ينكرها أو يعيش بدونها.

ولكن دعنا نذكر ما قاله الفيلسوف الروسى الشهير "تولستوى"[1] عن هذا المبدأ الشيوعى ، وكيف أنه توصل إلى وجود قوة عظمى تتمثل فى الخالق عز وجل.

يقول تولستوى: "لقد نبذت تلك العقائد الدينية فى أول الأمر ، ووجدتها عديمة المعنى ، ثم قبلتها الآن وألفيتها مليئة بالمعانى ، ذلك لأننى كنت مخطئًا ، وأدركت سبب الخطأ ، وهذا السبب ليس ناشئًا عن تفكيرى السيئ فحسب ، بل لأننى عشت فى بيئة سيئة ، وذلك أشد السببين خطأ" .

ويقول : "ما الحياة وما الموت ؟ إننى لا أعيش إذا فقدت العقيدة فى وجود الله ، ولولا أننى كنت أتعلق بأمل غامض فى وجود الله لقتلت نفسى من زمان بعيد" .

ويقول : "إننى أحيا – وأحيا حقيقة – حينما أحس به وأبحث عنه فقط

---

(1) تولستوي، أديب وروائي روسي شهير، وله كتاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم اسمه (حكم النبي) يستعرض فيه كثيرًا من حكم وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم. (الناشر).

ويصيح من داخلى صوت يقول : عن أى شىء تبحث ؟! بعد هذا . هذا هو .. إنه ذلك الذى لا يستطيع المرء بدونه أن يعيش ، إنه الله ، وعندما اعتقدت فى وجود الله ، اعتقدت فى الكمال الخلقى ، وفى التقاليد التى تحمل معانى الحياة" .

• إلغاء الملكية الفردية وخضوع جميع الممتلكات للدولة :

تضمنت النظرية الشيوعية إلغاء الملكية الفردية وإحلالها بالملكية الجماعية التى تخضع لسيطرة الدولة . فقد رأى ماركس أنه مادام هناك رئيس ومرءوس ، ومالك وأجير ، فسيكون هناك صراع طبقى لاستبداد الغنى بالفقير.

ولذا عندما بدأ تطبيق الشيوعية ، أمر لينين بمصادرة كل الممتلكات الفردية، وتأميم الشركات والمصانع ، وصارت جميع البيوت والمتاجر والمزارع مملوكة للدولة . وبذلك صار الشعب لا يملك أى شىء وأصبح أجيرًا للدولة بهدف القضاء على الصراع الطبقى ، وأصبحت أجور العاملين بهذه الشركات والمؤسسات الخاضعة للدولة متساوية حسب مبدأ لينين فى الأجور والذى أراد به تحقيق التوازن فى توزيع الثروة "من كل بحسب مقدرته ، ولكل بحسب حاجته" .. وصار الناس يحصلون على أغلب السلع التى يحتاجونها من غذاء وكساء وغير ذلك من خلال بطاقات توزع عليهم (بطاقات تموينية) وأصبح هناك حصص معينة لكل عائلة حسب الاحتياج لها .

ويلاحظ من ذلك أن إلغاء الملكية الفردية أدى بالتالى إلى إلغاء نظام التوريث وبذلك حرم الآباء كذلك من نقل ملكيتهم للأبناء .

ولقد أثبت تحقيق هذ المبدأ بالتحديد فشل الشيوعية كنظام اجتماعى، فعندما حرم الشعب من حق الملكية وجمع الثروات وتوريث ما يملكه للأبناء



كان من الطبيعى أن يمضى العامل بلا هدف ، فلماذا يجهدون ويكافحون ويتحملون مادام أن كل شىء فى النهاية سيئول إلى الدولة !

فعندما وضع ماركس هذا المبدأ نسى أن حب الامتلاك وجمع الثروات من الخصائص الطبيعية للنفس البشرية ، وبالتالى فإن حرمان الإنسان من هذا الحق ولو بزعم أن الدولة ستضمن له لقمة العيش ، أمر كفيل بالقضاء على إرادته وشل طموحه . كما أن نظام التوريث ، والذى تقره جميع الأديان ، هو أيضًا نظام يتفق مع طبيعة البشر .

ولذا فإن إلغاءه سينعكس بالتالى على النفس البشرية انعكاسًا سيئًا فالابن يرث عن أبيه بصورة طبيعية بعض صفاته وأهدافه بل ويرث كذلك بعض خصائصه الصحية والنفسية فكيف إذن نحرمه من أن يرث عن أبيه ما يملكه والذى هو ثمرة جهده وعرقه فى الحياة !

ومن ناحية أخرى أدت الفلسفة اللينينية فى توزيع الأجور والتى اعتمدت أساسًا على تحقيق المساواة فى الأجر إلى حالة من الاستياء وذلك لأنها ببساطة لم تفرق بين الكادح والكسول فى العمل ولا بين الفروق الطبيعية بين الناس من حيث مستوى الذكاء والمهارة والقدرات الذهنية .

وفى ظل تطبيق هذ النظام شعر العاملون بالإحباط لأن العائد المادى لهم لم يجازهم بقدر الجهد فى العمل وزيادة الإنتاج ، فصار العامل الكادح يتقاضى أجرًا مشابهًا للعامل الخامل ، وصار المهندس المتعلم يتقاضى أجرًا مشابهًا لأجر لعامل الذى يرأسه . ولذا نلاحظ أن هذه السياسة التى زعمت أنها جاءت لتحقيق المساواة وتقضى على الصراع الطبقى قد أشعلت الحقد بين الطبقات العاملة وبدلاً من أن تحقق المساواة بينهم نشرت التفرقة بينهم.

وعندما بدأت حكومة لينين فى تطبيق الملكية الفردية كان من الطبيعى أن يلقى ذلك غضبًا واستياءً كبيرًا من جانب الغالبية . ففضل الملاك حرق مزارعهم وشق بطن ماشيتهم بدلاً من تسليمها للدولة ، ولذا لم يكن غريبًا فى تلك الفترة أن نرى الحرائق تشتعل فى كل البلاد الروسية وجثث الحيوانات والماشية ملقاة فى الطرق والمزارع . وخاصة بعدما ألغى لينين طبقة صغار الملاك كذلك فى سنة 1917م .

ومن ناحية أخرى ، كان من الطبيعى فى ظل هذا النظام أن يتدنى مستوى الأعمال ويقل الإنتاج بدرجة كبيرة مما أدى إلى حالة شديدة من التدهور الاقتصادى ، وتعرضت روسيا لمجاعات متتالية .

ولذا اضطر لينين أن يلغى قانون مصادرة أملاك صغار الملاك. وعندما جاء ستالين إلى السلطة اضطر إلى إدخال بعض التعديلات فى الدستور الروسى الجديد بالمادة العاشرة ما يلى :

"إن حق الملكية الشخصية للمواطنين فى دخلهم وتوفيرهم . الناجمين عن عملهم ، وفى مساكنهم واقتصاديات بيتهم الإضافية ، وفى الحاجيات والأدوات المنزلية ، وفى الأشياء ذات الاستعمال الشخصى والراحة ، وكذلك حقهم فى إرث الملكية الشخصية حق مصون بموجب القانون" .

ولقد صار من الواضح فى تلك الفترة أن إلغاء الملكية الفردية لم يكن إلا لاستيلاء السلطة على ما يملكه الرأسماليون وأن "الصالح العام" الذى دعا إليه ماركس هو فى الحقيقة صالح الزعيم لينين !

• سيطرة الدولة على الإنتاج :

وتبعًا لسيطرة الدولة على الممتلكات صارت كذلك هى المسيطرة على كافة وسائل وأصناف الإنتاج .. فكل الإنتاج الزراعى والصناعى

والتجارى يعود للدولة وهى التى تقوم بتوزيعه على الشعب .. أما دور الشعب فاقتصر على العمل كأجير عند الدولة . كما قضت الدولة كذلك على التجارة الداخلية ، وأصبح ما يحتاجه الشعب من سلع يوزع عليهم ببطاقات تموينية . أما التجارة الخارجية فكانت أيضًا خاضعة لسيطرة الدولة .

وبناء على ذلك صارت الدولة بمؤسساتها الإنتاجية هى المحتكرة للسوق وأصبح الشعب مضطرًا أن يقبل ما تنتجه الدولة وتقدمه له ، فألغيت بذلك حرية المستهلك فى الاختيار ، فأصبح مضطرًا لشراء احتياجاته من الغذاء وفق ما تنتجه الدولة وليس وفق ما يروق له ، وأصبح مضطرًا لاختيار القماش والملبس والأحذية التى تنتجها الدولة وإلا فلن يجد أمامه أى بدائل أخرى . وبذلك أصبح مضطرًا بصفة عامة للعيش على هوى الدولة وليس وفق ما يناسبه ويختاره ويرضى ذوقه ورغباته ، وذلك فى الوقت الذى كانت تنعم فيه الشعوب الأخرى غير الشيوعية بحرية الاختيار والاستهلاك والمعيشة .

ونجد على الجانب الآخر أن زعماء الشيوعية أنفسهم وعلى رأسهم لينين قد اختاروا لأنفسهم نمطًا مختلفًا للمعيشة بعيدًا كل البعد عن أسلوب معيشة الشعب الذى أُجبر عليه . وهذا ما توضحه زوجة أحد الزعماء بهذا الاعتراف السافر المضاد للشيوعية : "إن زوجى يدعو للاشتراكية بين العمال الكادحين ، ويهيب بهم أن يثبتوا دعائمها فى المستقبل ، ولكن يعيش الآن فى الحاضر ، وإلا فأى حق لنا فى هذه المتعة كلها ؟ وتشير إلى الحديقة والقصر المترف ومعطفها الفرو . على حين أن الملايين لا يجدون ما يسد رمقهم ، وعلى حين ترى معسكرات المساجين تزداد اتساعًا كل يوم" .

• **الدعوة إلى الإباحية والتفكك الأسرى :**

ولم تسلم الحياة الأسرية والاجتماعية والأخلاقية من فساد المبادئ الشيوعية مثلما تعرضت الحياة الاقتصادية للتدهور ، ونزعت الملكيات الفردية دون وجه حق ، وعاش الشعب تحت سيطرة وهوى الدولة المستبدة .

فالحقيقة أن من ضمن ما تدعو إليه المبادئ الشيوعية بغرض تحقيق أهدافها هو التخلص من كل المعتقدات والقيم الأخلاقية القديمة المتوارثة ، وإباحة الحرية الجنسية ، وإعطاء المرأة كافة الحقوق فى ممارسة حياتها كما تشاء بما فى ذلك إطلاق حريتها الجنسية . والمساواة بينها وبين الرجل سواء فى مجال العمل أو فى المجال الأسرى أو الاجتماعى . فكان رأى الشيوعيين أن العادات والتقاليد القديمة التى تضع حواجز بين الرجل والمرأة فى المجتمع ، وتقيد الحريات الجنسية ، وتدعو المرأة للفضيلة والاحتشام ما هى إلا ضربًا من التخلف التى تعوق المجتمع عن التقدم والبناء !!

ولذا فإنه بعد تطبيق النظام الشيوعى فى روسيا لم يعد هناك فروق واضحة بين الرجل والمرأة فى المجتمع ، فصارت المرأة تدير الآلة فى المصنع مثلها مثل الرجل ، وأصبح لها نفس حقوق الرجل فى الأسرة فمن حقها أن تخرج كما تشاء ، وتعود فى أى وقت وتمارس حياتها الخاصة بمنتهى الحرية، ولم يعد هناك ما يقيد مظهرها ولا سلوكها فى المجتمع ، وأعطيت حرية جنسية كاملة .

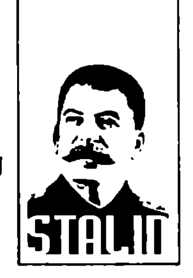
إن التفكير الشيوعى يبيح الحرية الجنسية المطلقة ويرفض فكرة اقتصار العلاقة الجنسية على فردين محددين هما رجل وامرأة من

خلال الزواج . فيرى ماركس أن فكرة الزواج وقيام أسرة فكرة متخلفة وأن الإباحية الجنسية هى البديل الأفضل لنظام الأسرة . وبذلك شجعت الشيوعية بشكل واضح على الزنا والدعارة فمنحت حرية جنسية مطلقة للشعب فى حين حرمت عليه حقوقه المشروعة فى الحياة الكريمة . وقد تناست الشيوعية بذلك أن هناك فروقًا طبيعية بين الرجل والمرأة وهذا يجعله هو الطرف الأنسب لتولى مسئوليات العمل وكسب لقمة العيش وامتلاك زمام الأسرة . بينما تتمتع المرأة بقدرات طبيعية تناسب توليها لدور العناية بالمنزل ورعاية الأبناء . كما تناست الشيوعية أن إطلاق الحرية الجنسية سيحول المجتمع إلى وحوش تتصارع لسد رغباتها الجنسية ولن يكون هناك بالتالى مكان لمعانى الإخلاص والود والعفة، تلك المعانى التى ترفع من شأن وقيمة الإنسان . كما تناست الشيوعية أن الأسرة هى وحدة بناء المجتمع وإن تفكك الأسرة بإطلاق الحرية الكاملة للمرأة وإهمالها بالتالى لرعاية الأبناء ومساندة الزوج الكادح سيؤدى بالتالى إلى تفكك المجتمع بوجه عام وظهور أجيال من المعقدين والمخربين والمنحلين .





ستالين .. بعد الثورة



• روسيا الجديدة :

والآن صعد البلاشفة إلى الحكم . وأصبح ستالين عضوًا فى المكتب السياسى للثورة إلى جوار لينين وتروتسكى وغيرهما من البلاشفة البارزين مثل سفردلوف.

ولكن هل طبقت الشيوعية مبادئها؟

لقد آمن ستالين بحقوق الشعب وضرورة تلبيتها وعمل فى المكتب السياسى كمُسيِّر لمطالب الشعب أو "قوميسير" الشعب . لكنه رأى هو ولينين أن المحافظة على الثورة لابد أن تستدعى اللجوء للقمع . وذكر لينين فى أحد أحاديثه " إن الاشتراكية أسمى بكثير من حقوق الأمم فى تقرير مصيرها" . كما برر ستالين اللجوء إلى العنف فى أحد أحاديثه بقوله"إن إحدى الوظائف الرئيسية لكل سلطة سياسية هى القمع".

وبذلك وقع الاثنان فى حالة من الانفصالية بين تحقق مطالب الشعب وتطبيق الشيوعية وفى نفس الوقت مع ضرورة اللجوء إلى العنف للمحافظة على الثورة والحماية من أية ثورة مضادة محتملة.

أما تروتسكى فكان يرى أنه لابد من انتشار الثورة فى مختلف دول أوربا بحيث يكون هناك ثورة مستمرة دائمة كى لا ينجح زعماء الدول الأوربية الأخرى فى محاولة القضاء على الثورة الروسية.

• ستالين .. والتشيكا :

واقترح ستالين على المجلس السياسى تكوين لجنة خاصة لحماية الثورة من خلال اللجوء للقوة والقمع عرفت باسم "تشيكا" . وضمت اللجنة نحو مائة ألف من البلاشفة والمتحمسين للثورة . وانتشر أعضاؤها فى كل مكان .

وفى سنة 1922 م، شغل ستالين منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى..

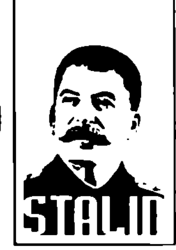
وأصبح تروتسكى هو أبرز منافسيه والذى اختص بالشئون الدفاعية وقيادة الجيش الأحمر .

ولكن ماذا فعلت لجنة "تشيكا" ؟

إنها فى حقيقة الأمر صارت لجنة مشابهة تمامًا للجنة "أوخرانا" التى تكونت فى عهد القيصر حيث تمادت فى أعمال العنف والإرهاب ضد الشعب .

وفى عام 1923 ، نشرت جريدة "برافدا" إحصائية مفزعة عن أعداد الضحايا الذين بطشت بهم لجنة "تشيكا" .. حيث قامت بإعدام هذه الأعداد الكبيرة من فئات المجتمع المختلفة : 3715 كاهنًا ، 28 أسقفًا ، 25850 موظفًا بالحكومة ، 260 ألف ضابط بالجيش ، 9575 مدرسًا، 105 ألف ضابط من ضباط الشرطة !

كما استطاع ستالين من خلال ترأسه لتلك اللجنة كبت الروح المعنوية للشعب بحيث لا يجرؤ أحد على معارضة الثورة .. واستطاع فرض رقابة مشددة على جميع مقاطعات روسيا .



وفاة لينين .. وصعود ستالين إلى السلطة





• لينين يسقط مريضًا :

فى يناير سنة 1924 م. توفى لينين فجأة !

لقد أصيب قبل وفاته بأزمة صحية أفقدته القدرة على الكلام . وظل لفترة راقدًا فى فراشه مشلولاً.

وانشغل بالتفكير فى الشخص المناسب الذى يقود المسيرة من بعده .. فأصبح استمرار الدولة الجديدة مرهونًا بخليفة لينين .

ولكن .. من يكون هذا الشخص ؟

لقد كان واضحًا أن هناك اثنين فى المقدمة يتنافسان على الوصول للسلطة ، وهما ستالين وتروتسكى .

فلمن انحاز لينين ؟

إنه فى الحقيقة لم يفضل اختيار ستالين خليفة له .. حيث رأى أنه شديد القسوة والعنف فضلاً عن نقص كفاءته فى الإدارة وهو ما يهدد استمرار مسيرة الثورة بنجاح ، أما تروتسكى فكان هو الحليف الأفضل بالنسبة للينين بفضل حنكته السياسية ومهاراته فى الإدارة على الرغم من أن ماضيه لم يكن ملتصقًا بالحركة البلشفية.

ومن الطريف أن تروتسكى والذى كان خارج البلاد أثناء وفاة لينين بعث ستالين إليه برسالة يخبره فيها بوفاة لينين ولكن ستالين ، الماكر ، حدد موعدًا خاطئًا لتشييع جنازة لينين حتى لا يحضرها تروتسكى !



ومرت روسيا بفترة حرجة بعد وفاة لينين . وبَذل ستالين كل ما فى وسعه للوصول إلى السلطة ، والقضاء على كل منافسيه ومعارضيه والذين كان أبرزهم تروتسكى .



جنازة لينين

• تروتسكى فى المنفى :

بعد وفاة لينين تكونت لجنة ثلاثية لإدارة الحزب الشيوعى ضمت كلاً من ستالين ، وكامينيف ، وزينوفيف .. بينما بدأت الحرب بين ستالين وتروتسكى للوصول إلى السلطة .

لقد اتهم ستالين تروتسكى بأنه يريد بإطلاق ما أسماه "الثورة الدائمة" تحويل البلاد إلى حالة حرب أهلية ..

وفى الوقت نفسه اتهم تروتسكى ستالين بأنه قد خان مبادئ الثورة ولجأ إلى القمع كوسيلة لاستئثاره بالسلطة .

وقد نجح ستالين فى كسب تأييد اللجنة الثلاثية ضد تروتسكى ووافقت اللجنة على نفيه خارج البلاد .



ومن الطريف أنه عندما رفض تروتسكى تلبية الأمر بالنفى استدعى رجال الشرطة للقبض عليه أثناء جلوسه على مقعده وحملوه إلى عربة كانت تنتظره بالخارج .

وسافر تروتسكى وأسرته إلى منفاه فى سيبريا . وظل لسنوات طويلة يشن هجومًا قويًا على ستالين .

وبعد عدة سنوات فى المنفى ، استطاع تروتسكى السفر إلى أسبانيا .. ثم غادرها إلى الدول الإسكندنافية .. ثم استقر به الحال فى المكسيك . لكنه لم ينج من بطش ستالين والذى دبّر لقتله على يد فرانك جاكسون فى عام 1940م وعلى مقربة من ميكسيكو سيتى (عاصمة المكسيك) .. كما سيتضح .

• الاتحاد السوفييتى فى قبضة ستالين :

كما استطاع ستالين التخلص من كل منافسيه فى الحزب الشيوعى سواء بالقتل أو بالنفى .

وفى سنة 1928م أصبح الحاكم الأعلى للبلاد واستمر يحكم البلاد حتى سنة 1953م حكمًا ديكتاتوريًا قاسيًا بث الرعب والخوف فى نفوس الشعب وأدى لإزهاق أرواح الملايين من الروس الأبرياء .



ستالين الزعيم (سنة 1928م)



تصفية المعارضين وحملات التطهير

• تصاريح للقتل بالجملة!

منذ أن جاء ستالين إلى السلطة عمل على التخلص من كل المعارضين السياسيين . وقد وقَّع ستالين على نحو 40 ألف تصريح بالقتل!

أما من لم يقتلوا من المعارضين ، فزجّ بهم إلى السجون ومعسكرات العمل الإجبارى التى أقامها فى مناطق متعددة بالاتحاد السوفييتى .

وأقام محاكم صورية لبعض المعارضين كانت تلفّق لهم تهمًا زائفة كما اتسع نطاق النفى إلى سيبريا .

• أعضاء الحزب الشيوعى :

وشهد الحزب الشيوعى حركة تصفية من الأعضاء المناهضين لنظام ستالين الديكتاتورى .

وكان من أبرز أعضاء الحزب كيمينيف وزينوفيف . وكان يربطهما صداقة مع ستالين ، وكوّنا معه ما يعرف بالرابطة الثلاثية (ترويكا) ، بل قاما بمساعدته فى التخلص من منافسه القوى تروتسكى .

ولكن بعد وفاة لينين انقلب ستالين عليهما وشرع فى التخلص منهما بزعم انهما تحولا إلى مناصرة مبادئ تروتسكى من حيث تعميم الاشتراكية ، وتوسيع حركة التصنيع ، وإشعال الثورات فى الخارج .



واتجه كذلك لتصفية كيروف والذى شغل منصب رئيس الحزب فى ليننجراد حيث دبّر حادثة لمقتله . واتجه بعد ذلك لتصفية باقى أنصار تروتسكى .

ومن الطريف أنه بعدما تخلص من أغلب أنصار تروتسكى بدأ ستالين، المعارض لتروتسكى ، فى تنفيذ برنامج التصنيع الإجبارى والتأميم ونشر الشيوعية الدولية .. وهى الأفكار التى نادى بها تروتسكى !

وفى صيف عام 1929م ، دب الخلاف بين أعضاء الحزب الشيوعى حيث اعترض اثنان من أعضاء الحزب وهما كامنيف وبوهارين على سياسة ستالين الاقتصادية . فقام ستالين بفصل بوهارين من المكتب السياسى ، وأمر بسحب كتبه التى نشرها بالأسواق عن نظرياته الاقتصادية . وقام بفصل كامنيف من جريدة "برافدا" التى ساهم فى تحريرها .

وظهرت فى الأعوام التالية منشورات تنتقد سياسة ستالين الديكتاتورية . واتخذ ستالين من تلك المنشورات ذريعة للتخلص من عضوين آخرين من أعضاء الحزب وهما زينوفييف وكامنيف حيث أمر بنفيهما إلى سيبريا .

وبذلك استطاع ستالين أن يفرض سلطته وزعامته على الحزب الشيوعى.

• حملات التطهير والمحاكم الصورية :

وشهدت فترة حكم ستالين ثلاث حملات للتطهير وتصفية المعارضين. وتمت خلال الفترى ما بين 1935م – 1938م ، وخلال عام 1942م ، وخلال الفترة ما بين 1945م – 1950م . وأسفرت هذه الحملات عن قتل نحو مليون سوفيتى رميًا بالرصاص ، والزج بملايين آخرين إلى معسكرات الاعتقال والأشغال الإجبارية .

وأراد ستالين أن تكتسب عملية القتل والتصفية تجاه بعض المعارضين شكلاً رسميًا ، فابتدع عدة محاكمات صورية للمعارضين كانت تجرى فى موسكو وفى أنحاء متفرقة من الاتحاد السوفييتى .

وكان من أبرز تلك المحاكمات التى جرت فى موسكو محاكمة 16 شخصًا من المعارضين لنظام ستالين فى سنة 1936م ، ومحاكمة 17 آخرين فى سنة 1937م، ومحاكمة 21 من المعارضين فى سنة 1938م .

وصدرت أحكام بالقتل ضد المعارضين جميعًا .. ومن الطريف أن تلك المحاكمة الأخيرة شملت بوخارين الصديق القديم لستالين والذى صدر حكم بقتله . فلم يكن ستالين يعرف الولاء لأحد !

ولم يتبق من البلاشفة وقادة الشيوعية القدامى الذين ناصروا لينين سوى ستالين نفسه ومولتوف .. والذى اعتبر محظوظًا لنجاته من القتل، لكنه عاش بقية حياته خائفًا غير مطمئن .



تروتسكى .. أبرز المعارضين لحكم ستالين والذى دبر ستالين لقتله فى سنة 1940 فى منفاه بالمكسيك



صورة لستالين مع أعضاء الحزب الشيوعى والذى تخلص منهم باستثناء مولتوف والذى اعتبر محظوظًا

• تلفيق التُّهم للمعارضين :

محاكمة موسكو الكبرى :

ولقد كان من مجالات عمل البوليس السرى بزعامة بيريا[1] تلفيق التهم لكل من لا يرضى عنه ستالين أو لكل من يرى أن الخلاص منه يحقق له مكسبًا ما!

وكان من أشهر تلك المحاكمات التى لُفقت فيها التهم محاكمة 1936م والتى انتهت بقتل 16 عضوًا فى المكتب السياسى رميًا بالرصاص . والتى عرفت باسم محاكمة موسكو الكبرى .

فى تلك المحاكمة الغريبة التى انتشرت أخبارها فى أوربا ، والتى اتهم فيها أعضاء شيوعيون بارزون مثل زينوفييف ، وكامنيف ، وساياكيف . وقف المتهمون يدلون باعترافاتهم بخيانتهم لستالين بمنتهى الصراحة التى أدهشت الجميع !

اعترف المتهمون بأنهم دبروا مؤامرة لقتل ستالين وأنهم كونوا جبهة تروتسكية معارضة .. أى أنهم كانوا من أتباع تروتسكى ، وعمدوا إلى نشر أعمال التخريب فى موسكو وسيبريا .

فوقف كامنيف يبكى أمام المحكمة معترفًا بأن عريضة الاتهام تحمل كل الصدق .. وأنه نادم على فعلته !

من الطريف أن تروتسكى نفسه علّق على أحداث هذه القضية بأنه لا تربطه أية صلة بالمتهمين !

---

(1) بيريا، وزير داخلية ستالين وذراعه الأيمن واحدى الشخصيات المرعبة والمخيفة والتي قامت بأعمال القمع والقتل والتنكيل بالمعارضين والزج بهم في المنافي والسجون. وهو من أصول يهودية وقد أعدمه خروشوف خليفة ستالين بعد وفاة ستالين (الناشر).



بدأ المتهمون الستة عشر أمام المحكمة بلا إرادة .. فهم يعترفون بالتهم الموجهة لهم دون دفاع عن أنفسهم !

وشاع خبر فى تلك الفترة عن أن ستالين استطاع بواسطة أطبائه من تجهيز عقار يجعل كل من يشربه يفقد إرادته !

وشاع خبر آخر عن أن المتهمين تعرضوا لعملية تنويم مغناطيسى !

ولكن فى الحقيقة أن الشرطة السرية كانت وراء ذلك .

فقد تعرض المتهمون على أيدى رجال الشرطة لعمليات تعذيب وحشية.. ووعدهم رجال الشرطة بأن اعترافهم كذبًا بالتهم الموجهة إليهم سيجعلهم ينجون بأرواحهم .. ولكن بعدما اعترفوا بالفعل تخلّى عنهم رجال الشرطة !

• النفى إلى سيبريا والتطهير العرقى :

ومنذ أن تولى ستالين السلطة وحتى أواخر عهده كان النفى حدثًا شائعًا لكثير من المعارضين والمنشقين .

ونشطت حملات النفى بدرجة كبيرة خلال الحرب العالمية الثانية حيث قُدِّر عدد الذين تم نفيهم خلال تلك الفترة وحدها بنحو مليون ونصف سوفييتى وكانت التُهم التى توجّه لأولئك الضحايا تهمًا واهية فى أحيان كثيرة صوّرها ستالين على أنها تعوق مسيرة الإصلاح والتنمية .. مثل الانشقاق عن الجماعة ، أو الخروج عن الشرعية ، أو التحالف مع الألمان .

ولكن فى حقيقة الأمر أنه كان وراء القيام بتلك الحملات الواسعة لتنفيذ رغبة ستالين فى القيام بعملية تطهير عرقى وخاصة بين المسلمين فقد تركزت تلك الحملات على التخلص من الأقليات العرقية من منطقة البحر الأسود كالتتار، والشيشانيين ، والأرمن ، وغيرهم .

وكانت الظروف التى عاشوا خلالها فى المنفى غاية فى القسوة : فعانوا من البرودة الشديدة وسط الجليد ، ومن قلة الغذاء ، ومن الجوع والمرض . ولذا فإن الكثيرين منهم لقوا حتفهم خلال عدة أشهر قليلة .

وتذكر إحصائية أن حوالى 60 % من إجمالى 200 ألف شخص ممن تم ترحيلهم من دول البلطيق ونفيهم إلى سيبريا قد ماتوا جميعًا .

وقد ظلت عملية الترحيل والنفى إلى سيبريا وما اقترن بها من بشاعة عالقة بأذهان تلك الأقليات بعد رحيل ستالين ، ومن الواضح أنها شكلت دافعًا قويًا وراء ظهور حركات الانشقاق فى مناطق مختلفة من الاتحاد السوفييتى السابق للمطالبة بالاستقلال عنه كما هو الحال فى دول البلطيق . ولا تزال الشيشان تجاهد من أجل تحقيق استقلالها .

• امتداد حملات التطهير خارج روسيا :

وفى أوكرانيا ، عيَّن ستالين خروشوف سكرتيرًا أول للحزب الشيوعى ، وصار بمثابة ديكتاتور حقيقى لأوكرانيا .

وفى أوزبكستان ، أطاح ستالين بعدد كبير من الأعضاء البارزين فى الحزب الشيوعى . وقام بتدبير محاكمة صورية لكل من فيض الله هود شايف رئيس الوزراء ، وأكراموف سكرتير الحزب ، وصدر حكم بإعدامهما رميًا بالرصاص .

وفى القوقاز ، تم إقصاء أغلب الأعضاء البارزين بالحزب .

وقد أدت حركة التطهير خارج روسيا كذلك لإبادة مجموعات صغيرة من الأشخاص الذين كانوا يعيشون بعيدًا عن وطنهم الأصلى مثل الأرمن فى أوكرانيا ، والتتار فى مدن روسيا الوسطى ، واليونانين فى أودسا .

وكان من ضمن مبررات حركة التطهير للشعوب غير الروسية والأقليات اتهامهم بالضلوع فى عمليات تجسس لصالح دول أجنبية ، وبالتالى صاروا ، حسبما زعم ستالين ، أعداءً للشيوعية وأعداءً للشعب !

• تطهير الجيش الأحمر :

واتجه ستالين كذلك لعملية تطهير لقادة الجيش الأحمر .. والتى تركزت فى سنة 1937م .

ففى تلك السنة نشرت الصحف السوفيتية أنباء تزعم بوجود مؤامرة داخل الجيش تورَّط فيها مجموعة من قادته لقلب نظام الحكم ، وأُعدم القائمون بها .

ولم يكن ذلك فى حقيقة الأمر إلا إدعاء كاذبًا روّج له ستالين بغرض القضاء على مجموعة من القادة البارزين بالجيش الأحمر كان راجعًا لإحساسه الدائم بالخوف من تآمر القيادات البارزة ضده وعقدت محاكمات صورية لأولئك المتآمرين وصدر حكم بقتلهم جميعًا ، وكان من أبرزهم المارشال توخاتشفسكى، نائب مفوض الشعب للدفاع ، والجنرال أوبوريفتش قائد منطقة روسيا البيضاء ، والجنرال ياكار قائد منطقة كييف العسكرية، والمارشال بلوتشر ويجوروف ، والجنرال ڤاتيستس ، وغيرهم . وقد انتحر المفوض السياسى للجيش جامارنيك .

وقد خسر ستالين بذلك مجموعة من أبرز القادة العسكريين ، وهو ما جعله فى مأزق عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية !

وراح ضحية عمليات التطهير نحو 3 مارشالات ، و13 قائد جيش ، و85 قائد فيلق ، و110 قائد فرقة .

• لماذا أقدم ستالين على عملية التطهير ؟!

لقد قضى ستالين من خلال حملة التطهير على قادة وأعضاء بارزين كانوا يمثلون دعامة قوية للحكومة .. .. بل وقضى كذلك على كثير من القيادات البارزة فى الجيش الأحمر الذى أعده تروتسكى وغيره باذلين كل جهد وعناء.. فلماذا أقدم على تلك الخطوة ؟! .

إنه بالإضافة لرغبة ستالين فى الاستحواز على السلطة المطلقة والقضاء على كل معارض ومنافس له .. فقد كان يحركه كذلك إحساس بالخوف من اتصال بعض من قضى عليهم بجهات أجنبية وقيامهم بالتجسس عليه .فكان ستالين يتوقع أن تهاجمه الدول الرأسمالية وتحاول القضاء عليه وعلى نظامه الشيوعى .

ومن ناحية أخرى ، فقد اتخذ ستالين أحيانًا من عمليات التطهير مبررًا لفشل سياساته واقتراحاته .. حيث كان يبحث فى هذه الحالة عن "كبش فداء" ويتهمه بتعطيل مسيرة الإصلاح أو بأنه عدو للشعب !

• البحث عن ضحية جديدة :

وفى واقعة أخرى ، أراد ستالين أن يبرر فشله بالبحث عن ضحية جديدة من أعضاء الحزب .

ففى عام 1936 م طرح ستالين استفتاء بين الروس حول مشروع الدستور الجديد وحول قانون حظر الإجهاض .

وجاءت نتائج الاستفتاء غير مرضية حيث لم يلق مشروع الدستور الجديد الذى أيده ستالين قبولاً بين الناس ، والذين عارضوا كذلك قانون حظر الإجهاض . وهو ما وضع ستالين فى موقف محرج .

فقام بالبحث عن "أعداء الشعب" وهى عبارة استخدمها كثيرًا لتبرير كثير من المواقف .. فاتهم بوهارين وتومسكى وريكوف بأنهم من المتآمرين على الثورة وبأنهم أعداء الشعب حيث سعوا إلى تضليله بغرض التصدى لمنهج ستالين للإصلاح .

وأمر بقتلهم .. !

• حملات التطهير والقتل الخارجية :

إن حملات التطهير التى بدأها ستالين لم تقتصر على المعارضين والمنشقين داخل الاتحاد السوفيتى بل امتدت كذلك لمعارضيه فى الخارج .

ففى المكسيك قتل تروتسكى . وفى فرنسا قتل السكرتير الدولى المعارض لستالين ، وفى كوبا قتل المعارض بول ماسلو ، وفى سويسرا قتل "أجناس رايس" أحد رجال الشرطة السرية الشيوعية والذى انقلب على ستالين .

وفى بولندا ، اتهم توهاشيفسكى رئيس أركان الجيش وبطل الحرب البولندية فى عام 1920م بالتآمر لحساب القوات النازية ، وأُعدم رميًا بالرصاص بعد محاكمة سرية .

كما اتُّهم جامارينك أحد السياسيين البارزين بالتعاون مع توهاشيفسكى ولكنه فضل الانتحار قبل محاكمته .

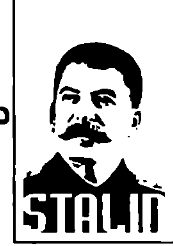
وحدثت جرائم قتل مشابهة للمعارضين فى دول أخرى مثل الصين ، ونيويورك ، وواشنطون وغيرها .







كيف تخلص ستالين من غريمه تروتسكى ؟



• منافس ستالين الأكبر :

لقد كان تروتسكى أحد ثوار الشيوعية البارزين والذى وقف إلى جانب لينين خلال فترة دعوته لنشر الشيوعية والقيام بالثورة فى سنة 1917م وكلاهما كان شيوعيًا متطرفًا يريدان أن ينشرا الفوضى والتخريب فى العالم من أجل مبادئهما الهادمة ، ولذا فإن تروتسكى كان الأحق بتولى الزعامة فى روسيا بعد وفاة لينين .

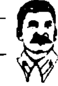
وقد ظل العداء قائمًا بين ستالين وتروتسكى على الرغم من استحواذ ستالين على السلطة ، فلم يسلم ستالين من محاولت تروتسكى لقلب نظام الحكم الستاليني ، ولم يسلم تروتسكى من بطش ستالين به حتى انتهى الأمر بتدبير مؤامرة لقتله .

• من هو تروتسكى ؟

وُلد "ليون تروتسكى" .. واسمه الأصلى هو "ليف دافيدوفيتش برونشتاين" فى أوكرانيا من أبوين يهوديين[1] ، وتأثر إلى حد كبير بأفكار كارل ماركس عن الشيوعية وديكتاتورية البروليتاريا .

---

(1) كان معظم قيادات الحركات الشيوعية فى روسيا والعالم من اليهود الذين تزعموا حركات الإلحاد وعملوا على نشر الفوضى فى العالم ومحاربة القيم الأخلاقية والأديان السماوية فضلاً عن كبيرهم كارل ماركس الذى قاست كثير من الشعوب ويلات الحروب والإرهاب نتيجة لهذه المبادئ الهدامة (الناشر) .



وقد اعتقل ونفى من روسيا بسبب مبادئه الشيوعية المثيرة للفتة وقد قضى فترة طويلة فى المنفى فى سيبريا ثم انتقل منها إلى تركيا ثم بعض الدول الأوربية حتى استقر فى نيويورك لفترة طويلة .

وهناك ظل على اتصال بلينين وحلفائه لأجل التنظيم للثورة . وبعد نجاح ثورة لينين فى 1917 م عاد مرة أخرى إلى روسيا وتولى منصب المفوض العام للشئون الخارجية ، ثم منصب وزير الدفاع ، وكُلف بمهمة إعداد الجيش الروسى .

وقد أدى تدخل تروتسكى فى العديد من الشئون السياسية إلى حدوث خلاف بين أعضاء مجلس الثورة .

وكان ستالين أشدهم عداوة لتروتسكى ، واستطاع ستالين أن يضم إلى صفه بعض الشخصيات البارزة ليكون جبهة معادية لتروتسكى .

• وفاة لينين وبداية الصراع على السلطة :

وبعد إصابة لينين بمرض الشلل مما أنبأ باقتراب موته زاد الصراع بين ستالين وتروتسكى للاستحواذ على السلطة بعد رحيل لينين المتوقع.

وعندما مات لينين ، فرض ستالين نفسه رئيسًا للبلاد فى عام 1924م واتهم تروتسكى بالخيانة العظمى والخروج عن المبادئ الماركسية العظيمة ، وأمر بنفيه خارج البلاد .

ونُفى تروتسكى إلى آسيا الصغرى ، ثم إلى النرويج واستمر ستالين فى مطاردته حتى استطاع أن يؤثر على الحكومة فى النرويج لطرده من البلاد . وفى نفس الوقت رفضت بعض البلاد الأوربية مثل فرنسا وإنجلترا وكذلك

الولايات المتحدة استقباله منعا للمشاكل التى يمكن أن يثيرها وجوده فيها ، وأخيرًا استقر به الحال فى المكسيك.

وفى نفس الوقت قام تروتسكى بحملة دعائية كبيرة ضد ستالين ، فاتهمه بالخيانة والإجرام ، واستطاع أن يثير غضب الشيوعيين عليه .

وظل ستالين هو الآخر فى تتبع تروتسكى والبطش به ، فقام بخطف ابنه الذى كان يعالج بإحدى مستشفيات باريس ، وأصدر أوامره بقتله .

وقام رجاله بتفجير منزله فى مكسيكو سيتى عاصمة المكسيك بالديناميت ، لكن تروتسكى وزوجته لم يصابا بأى أذى .

ولم تهدأ حملة تروتسكى الدعائية ضد ستالين ، وألّف بعض الكتب التى أدانته بالخيانة والإجرام كان من أشهرها كتاب "مدرسة التضليل الستالينية" .

وصار من الواضح بعد ذلك أن ستالين قد اتخذ قرارًا باغتيال تروتسكى، مما جعل تروتسكى يحول منزله فى مكسكيو سيتى إلى ما يشبه الحصن وزوَّده بالعديد من حراس الأمن والذخيرة .

• الصديق الخائن !

وعلى الرغم من ذلك فإن تروتسكى قد اغتيل بمنتهى البساطة من خلال تدبير مؤامرة لقتله لم ينتبه لها.

ففى مارس 1940م ، تعرف تروتسكى على فتاة أمريكية تدعى "سيلفيا" قدمت له شابًا على أنه خطيبها وكان يدعى "فرانك جاكسون"، وأبدى جاكسون إعجابه الشديد بأفكار وآراء تروتسكى وتوطدت العلاقة

بينهما ، وكان جاكسون يستشير تروتسكى فى العديد من القضايا السياسية والاجتماعية وكان تروتسكى يسعد بأن يكون مرشدًا وناصحًا له .

وحدث ذات ليلة أن ذهب جاكسون إلى منزل تروتسكى ليأخذ رأيه فى مقال كتبه فاستقبله تروتسكى فى حجرة مكتبه وأثناء قراءة تروتسكى للمقال اتجه جاكسون ناحية معطفه الذى وضعه على المنضدة خلف تروتسكى ، ودس يده بجيبه والتقط بلطة ثم توجه ناحية تروتسكى وقام بإغلاق عينيه ، كما ذكر فى التحقيقات ، وضربه ضربة شديدة للغاية على رأسه .

كان جاكسون يتوقع أن تلك الضربة ستكون كافية لقتل تروتسكى فى الحال ودون إحداث صوت أو ضجيج يستلفت انتباه من بالمنزل ، لكن ما حدث أن تروتسكى أطلق صرخة عالية للغاية ، واتجه ناحية جاكسون محاولاً الإمساك به.

وفى أثناء ذلك اندفعت زوجته وحراس الأمن داخل حجرة تروتسكى بعد سماعهم لصرخته المدوية ، وقام حراس تروتسكى بضرب جاكسون بوحشية على رأسه بكعوب مسدساتهم فأصابوه إصابات شديدة وأعطى تروتسكى أوامره لهم بألا يقتلوه ليعرفوا من الدافع وراء ذلك الحادث .

وانتهى الأمر باقتياد تروتسكى وجاكسون إلى المستشفى ليتم علاجهما فى نفس الوقت واستطاع تروتسكى أن يتشبث بالحياة لمدة 22 ساعة رغم إصابته البالغة وتوفى بعدها فى 21 أغسطس 1940 .

وعندما شُرحت جثته جاءت أنباء تفيد بان له قلبًا قويًا للغاية ومخًا زائدًا فى الوزن عن المألوف !



أما جاكسون ، فقد تماثل للشفاء وبدأ يحكى للمحققين عن كيفية ارتكابه لذلك الحادث .

لم يكن ذلك الصديق الوفى – جاكسون – إلا روسيا متعصبا لستالين واسمه الحقيقى "رامون ميركادور" والذى نفذ جريمته بتحريض من أمه الروسية "كاريداد" والتى أقنعته بأن قتل تروتسكى مهمة وطنية .

واتضح من التحقيقات أنها كانت تنتظره فى سيارة خارج منزل تروتسكى لتمكنه من الفرار .

وقد تم اعتقال ميركادور وحُكم عليه بالسجن لمدة 20 عامًا .. أما سيلفيا ، وهى الفتاة التى قدمته لتروتسكى ، فقد أفرج عنها بعد أن اتضح للمحققين أنه لم يكن لها علاقة بالتخطيط لتلك الجريمة ، وأنها خُدعت فى شخصية ميركادور ، كما خُدع فيه تروتسكى .

وكان من المقرر نقل جثمان تروتسكى للولايات المتحدة فى نيويورك ويدفن بها ، ولكن الحكومة الأمريكية رفضت استقبال جثته ،وانتهى الأمر بحرق جثة تروتسكى فى مكسيكو سيتى .

وهكذا استطاع تروتسكى أن ينجو من عدة محاولات لاغتياله دبرها له ستالين، لكنه لم يستطع أن ينجو من غدر أنصار ستالين وحلفائه الذين دخلوا بيته تحت مسمى الصداقة والإعجاب بشخصيته !





البوليس السرى وجواسيس الشعب

• القبضة الحديدية :

لقد استطاع ستالين أن يمسك البلاد بقبضة من حديد ولم يعد هناك وجود لمن يعارضه أو يخالفه الرأى أو لأن يسعى لإثارة الشغب أو مقاومة الحكم .

ولكى يتمكن من تحقيق ذلك عمل على تكوين جيش قوى من رجال الشرطة السرية لتثبيت دعائم السلطة ، وإجبار الشعب على تنفيذ الأوامر ، والكشف عن أى مؤامرات ضد السلطة .

والحقيقة أن فكرة البوليس السرى الذى ينشر جواسيسه فى كل مكان للتجسس على الشعب فكرة قديمة اعتبرت من أساسيات الحكم فى روسيا منذ زمن بعيد .

ففى عهد القياصرة ، تكونت وحدة للبوليس السرى عرفت باسم منظمة الأُخرانا والتى اشتهرت بوحشية شديدة وبطشت بآلاف الأبرياء .

وفى عهد لينين تكونت منظمة من الشرطة السرية عرفت باسم التشيكا.. والتى لعبت أيضًا دورًا هامًا وخطيرًا فى تدعيم سلطة لينين .

أما ستالين فقد كون منظمة سرية لحمايته منذ توليه السلطة ، وقد تطورت تلك المنظمة الشرطية السرية حتى بلغ عدد أفرادها ما يزيد عن

مليونين من رجال الشرطة السريين أو المخبرين .. وعرفت باسم الأوجبيو .. واكتسبت ذلك الاسم المختصر (NKVD).

• ياجورا :

واختار ستالين لرئاسة تلك المنظمة فى بادئ الأمر رجلاً عرف بالوحشية الشديدة وهو "جينرخ ياجورا" .

وقد ألقت تلك المنظمة الرعب فى نفوس المواطنين ، فكان من حق أفرادها إلقاء القبض على أى مواطن لأى سبب وتقديمه للمحاكمة أو قتله أو تعذيبه أو نَفْيه حسبما يشاءون .

وكان رجال الشرطة السرية ينتشرون فى كل أنحاء البلاد ، ويترددون من وقت لآخر على المصانع والمزارع والمطاعم والحانات وكل أماكن التجمع ليتجسسوا على المواطنين ، بل كان من حقهم ارتياد المنازل وتفتيشها دون إذن. وكانوا يتواجدون فى مجالات العمل . وفى محطات السكك الحديدية ، وفى النوادى الرياضية ، ومختلف الأماكن العامة .

وقد امتلأت سجلات الشرطة السرية فى تلك الفترة بأسماء الآلاف من المشبوهين الذين وضعوا تحت المراقبة ، وامتلأت السجون بآلاف المواطنين الذين اتهموا بالتحريض ضد الشيوعية ، وأقيمت معسكرات اعتقال جماعية، وذلك بالإضافة للأعداد الكبيرة التى كانت تتعرض للنفى من وقت لآخر فى سيبريا .

وفى عهد ستالين امتلأت السجون بالمعتقلين ، وشهدت قاعات المحاكم عددًا كبيرًا من القضايا التى وجهت فيها التهم للعديد من العمال والفلاحين بالإهمال والتقاعس عن العمل .. وكان شيئًا عاديًا أن يكون جزاؤهم القتل بالرصاص !

والحقيقة أن جهاز الشرطة السرية الذى أقامه ستالين لم يقل خطورة عن جهاز الشرطة السرية الذى أقامه هتلر والذى عرف باسم الجستابو . لأنه قد تفوق عليه فى الوحشية !

• مقابر القتل الجماعية :

ولعل أبرز ما يوضح مدى الوحشية التى اتصف بها جهاز الشرطة السرية فى عهد ستالين اكتشاف مقابر جماعية دبرتها الشرطة السرية لأعداد كبيرة من الناس .

فقد صدرت أوامر ستالينية للمساجين بحفر مساحات شاسعة من الأراضى للتنقيب عن المعادن ، واستغلت الشرطة السرية تلك الحُفر الكبيرة فى إقامة مقابر جماعية للقتلى والمساجين المتهمين بتهم مختلفة .

وفى سنة 1989 م، حدثت فضيحة شيوعية جديدة عندما اكتشفت مقبرة جماعية من تلك المقابر فى منطقة "تلال الذهب" ووجد بها أكثر من 80 ألف هيكل عظمى من ضحايا التعذيب والقتل الجماعى فى عهد ستالين خلال فترة الثلاثينيات .

• الستار الحديدى :

كما اشتملت مهمة البوليس السرى كذلك على مراقبة الأجانب والزائرين للبلاد حيث كانوا يخضعون لإشراف ومراقبة الشرطة السرية .

وكان لا يتاح لأولئك الزائرين إلا رؤية النماذج المثالية للحياة داخل الاتحاد السوفيتى بينما لا يتمكنون عادة من إدراك مواضع الخلل والمعاناة التى يعيشها السوفيت .

وبذلك جعل ستالين البلاد محاطة بستار حديدى يصعب على أحد اختراقه !

• بيريا .. الذراع اليمنى لستالين :

وقد استمر جهاز الشرطة السرية فى عمله لخدمة السلطة وترويع المواطنين وقتل المعترضين منهم طوال فترة حكم ستالين .

وقد ترأسه فى بادئ الأمر "جرين ياجودا" .. ثم خلفه رجل آخر أكثر شراسة ووحشية وهو "لافرنتى بيريا" والذى تمت فى عهده كثير من الجرائم الوحشية والذى صار بمثابة الذراع اليمنى لستالين .



بيريا .. الرئيس الثاني لجهاز الشرطة السرية والذراع اليمنى لستالين






كارثة المزارع الجماعية



• خطة الإصلاح الخمسية :

عندما صار ستالين زعيمًا للاتحاد السوفيتى كانت البلاد تعانى من الفقر والتدهور الاقتصادى ، وبخاصة بعدما استنزفت الحرب العالمية الأولى جزءًا كبيرًا من موارد البلاد وظلت آثارها السيئة باقية لسنوات طويلة .

وحاول ستالين إصلاح ذلك الوضع بما هو أسوأ وأمرّ سبيلا .. فقرر عمل خطة إصلاحية على مدار خمس سنوات .. كانت تهدف إلى تحديث الصناعة والنهوض بها وإلى إدخال تعديلات بمجال الزراعة من خلال ما عرف بالمزارع الجماعية والتى بدأ فى إنشائها منذ سنة 1929م وحتى سنة 1933م .

• السنوات العجاف فى حياة السوفييت :

- الاستيلاء على أراضى صغار الملاك [الكولاك] :

فما المقصود بتلك المزارع الجماعية ؟

لقد كانت فكرة المزارع الجماعية بمثابة الكارثة للفلاحين وسببًا فى تجويع وموت الملايين من السوفييت .

لقد أراد ستالين بتلك الفكرة أن يعمل الفلاحون فى مزارع كبيرة مملوكة للدولة، وتستحوذ الحكومة على محاصيل تلك المزارع نظير أجر للفلاحين .



ولتحقيق ذلك المخطط استولت الحكومة على الأراضى المملوكة للفلاحين أو الذين اكتسبوا تسمية "طبقة الكولاك"[1].. وكان مبرر ستالين لذلك هو أن تلك الطبقة تمثل طبقة رأسمالية وبأنها تتعارض بالتالى مع أهداف الثورة .. ووصف مُلاّك تلك الأراضى بأنهم أعداء الشعب !

وفى البداية أعلن الملاك لتلك الأراضى رفضهم لتسليم أراضيهم للحكومة، لكنهم أجبروا على ذلك ، ومنهم من قام بذبح ماشيته ومنهم من حرق المحاصيل قبل أن تصير فى حوذة الحكومة وهو ما أدى لنقص بالغذاء .

أما من استمر على رفضه فكان جزاؤه إما القتل بالرصاص ، أو النفى لجهات بعيدة ، أو الاعتقال داخل معسكرات العمل الإجبارية .

وراح ضحية تلك الفكرة آلاف القتلى ، ورُويت حكايات بشعة عن التعذيب داخل معسكرات الاعتقال التى أقامها ستالين فى أنحاء الاتحاد السوفيتى.

وبذلك تحوَّل أصحاب الأراضى إلى مزارعين فقراء لدى الحكومة . وانهدم نظام الأسرة الريفية الذى كان موجودًا منذ زمن بعيد والذى يعيش فيه أفراد الأسرة على ما يزرعونه وينتجونه من محاصيل أراضيهم .

ومن الغريب هنا ، أن ستالين نفسه جاء من طبقة الفلاحين البسطاء، ورغم ذلك فإنه لم يعمل لصالحهم بل وكأنه أراد من تلك الفكرة الانتقام منهم !

---

(1) كولاك كلمة روسية معناها ، القبضة .



• تجويع السوفييت :

ولكن ماذا كانت نتيجة اتجاه الحكومة لإقامة المزارع الجماعية ؟

إنه من الناحية النظرية ، فإن المزارع الجماعية التى تدار بالماكينات توفر إنتاجًا أوفر من المحاصيل الزراعية بالنسبة لإنتاج قطع الأراضى الصغيرة المتناثرة التى يملكها الفلاحون ويديرونها بطرق بدائية .

ولكن من الناحية العملية ، أدى تطبيق نظام المزارع الجماعية بتلك الصورة البشعة التى طبقها ستالين إلى إحساس الفلاحين الذين نُزعت منهم أراضيهم بالقهر والظلم وبالتالى إلى نقص الدافع للعمل والإنتاج بعدما صاروا يعملون كمزارعين لدى الحكومة .

ومن ناحية أخرى ، فإن الحكومة لم تعوضهم بشىء مقابل ذلك .. فكانت تشترى منهم المحاصيل بأجر زهيد لا يكفى لإعاشتهم .

والأخطر من ذلك أن ستالين قام بتصدير محاصيل تلك المزارع الجماعية للخارج بادعاء توفير المال الكافى لعملية الإصلاح المزعومة .

وبذلك بدا الأمر كأن هناك مخططًا لتجويع السوفييت وإذلالهم . ويشكك البعض فى أن المخطط جاء من خلال ارتباط ستالين باليهود !

وقد أدى ذلك لحدوث نقص شديد بالغذاء إلى حد حدوث مجاعة بين السوفييت ، وبخاصة فى أوكرانيا ومنطقة جنوب وادى الفولجا .

وقد أسفرت تلك المجاعة عن وفاة نحو خمسة ملايين سوفيتى فى الفترة ما بين 1932 – 1933 وحدها !

ومما ساعد على حدوث هذه المجاعة أيضًا أن ستالين لجأ إلى الحد



الشديد من الاستهلاك للطبقات السوفيتية العادية بغرض تدعيم مشروعاته الصناعية. وقد أحرزت الخطة الصناعية نجاحًا ملموسًا بالفعل وبخاصة على مدار أول عامين من تطبيق خطة الإصلاح حيث دارت عجلة الانتاج بسرعة ، وزادت عمليات التصنيع . لكن ذلك كان على حسب حياة وأرواح الملايين من السوفيت الذى سُخروا كعبيد لخدمة الدولة !



ضحايا المجاعة فى شوارع أوكرانيا والذين لقوا حتفهم من الجوع والمرض فى بداية الثلاثينيات بسبب كارثة المزارع الجماعية[1]

• مجاعة سنة 1932 م:

زائر روسيا الذى شاهد المجاعة بعينيه :

منذ السنة الأولى التى طبقت خلالها فكرة المزارع الجماعية (1929م) حدث نقص شديد بالغذاء .

وتكررت المجاعة التى تعرض لها الروس بصورة حادة فى سنة 1932م وتركزت فى أوكرانيا حيث انتشر الجائعون بالطرقات وفى محطات السكك الحديدية يطلبون المساعدة من الغير لشراء الطعام والقوت . وانتشرت جثث

(1) راح ضحية هذه السياسة المجرمة 3 ملايين فلاح أوكرانى نزعت منهم المحاصيل بالقوة لتصدر إلى الخارج برغم حاجة الناس إليها (الناشر) .

القتلى الذين ماتوا جوعًا فى الشوارع وعلى الأرصفة . فى تلك الفترة استطاع الأديب النمساوى "أرتور كيستلر" أن يتمكن من زيارة روسيا ومشاهدة تلك الصورة البشعة للجائعين .

ويقول كيستلر : "إن الشيوعيين كانوا يقولون له عن هؤلاء الجوعى إنهم متسولون رفضوا العمل والكدح وفضلوا التشرد والتسول . ووصفوهم بأعداء الحكومة والشعب" . وهكذا عَمَد الحكام الروس فى عهد ستالين إلى إخفاء الحقائق عن الزوار حتى لا يدركوا ما فعلته لعنة الشيوعية بالشعوب المقهورة !

كما يذكر كيستلر عن مشاهدته فى سيبريا : "لم يحدث فى التاريخ ولا فى أى دولة من الدول أن قتل مثل هذ العدد من الناس أو استبعدوا على النحو الذى حدث فى روسيا وإن كلا منا ليعرف على الأقل صديقا قد قتل فى سيبريا أو فى معسكرات الأشغال الشاقة أو أطلق عليه الرصاص بتهمة الخيانة أو التجسس أو اختفى ولم يعد له أثر !" .

ويقول : "كيف كنا نلتزم الصمت عندما كان رفقاؤنا يعدمون دون محاكمة فى سيبريا . إن كلا منا يحمل فى ثنايا ضميره هيكلا عظميا إذا أضيفت بعض أجزائه إلى بعض لتألف منها صالات للعرض أكثر ضخامة واتساعًا من مغارات باريس .

ومن الطريف أن كيستلر نفسه كان عضوًا فى الحزب الشيوعى ببلاده . ولكنه بعد ما شاهده فى روسيا من بشاعات قرر الاستقالة من الحزب !

• تغيير الدستور :

لقد أصبح من الواضح أن ستالين قاد البلاد إلى كارثة بفكرة إنشاء المزارع الجماعية .. حيث انتشرت المجاعات فى أنحاء متفرقة من الاتحاد

السوڤيتى ، واختفت البضائع من الأسواق ، وعانى أغلب السوڤيت من قسوة العيش .

وصارت سنة 1929 م التى بدأ ستالين فيها تطبيق فكرة المزارع الجماعية تذكر الروس بما عانوه من قبل فى سنة 1921 عندما قام لينين باغتصاب أراضى الفلاحين بالقوة والاستيلاء على المحاصيل الزراعية ، على غرار ما فعله ستالين من بعده . ولذا يُطلق البعض على تلك السنة "السوداء" تسمية : سنة المعاناة الأليمة. وكان لابد أن يتخذ ستالين إجراءً ما أمام تلك المجاعات التى عبرت عن سياسته الاقتصادية الفاشلة .

واجتمع ستالين مع مستشاريه .. وقال لهم فى حديثه : "ليس أمامنا إلا طريق واحد لإنقاذ البلاد مما هى فيه وهو تغيير الدستور ووضع نظام جديد للعمل والإنتاج على أساس جيد للأجور يكافأ فيه العامل حسب عمله وإنتاجه، لا حسب ضرورياته وحاجاته . ويباح للأفراد بعض الملكية الصغيرة" .

وهكذا اعترف ستالين بفشل مبدأ تحريم الملكية ومبدأ الأجور المتساوية.

وقد استدعى ذلك الاتجاه الجديد تغيير دستور سنة 1924م إلى دستور جديد فى سنة 1936م ليلائم الحالة الجديدة التى أعلن عنها ستالين .

ولولا لجوء ستالين لذلك لصارت البلاد إلى الهاوية وتضاعفت أعداد الموتى من الجوعى والمشردين . وبذلك يكون دستور روسيا قد تغيَّر عدة مرات.

فتغيَّر الدستور القديم لأول مرة فى سنة 1924م ، بعد قيام البلاشفة بثورتهم سنة 1917م .

ثم تغير دستور 1924م إلى دستور 1936م بعد التغييرات التى وضعها ستالين. ثم تغير بعد ذلك دستور 1936 م إلى دستور 1944 م بغرض تنظيم العلاقات بين الجمهوريات التى يشملها الاتحاد السوڤيتى .



أحوال العمال فى المصانع السوفيتية



• المسخرون فى الأرض :

ولم تكن أحوال العمال فى المصانع أفضل من أحوال الفلاحين الذين نزعت منهم أراضيهم وعانوا من الفقر والجوع .

ففى المصانع خضع العمال فى عهد ستالين لضوابط شديدة قاسية حددتها لوائح العمل .. وجعلت "الفرد ملك الدولة" .

فاشتملت لوائح العمل على بعض الضوابط القاسية ، مثل :

- يخضع نظام العمل لما يسمى "الحصة" والتى تمثل كمية الإنتاج التى يجب أن يحققها العامل ليتناول أجره ، فإذا لم يتحقق ذلك لا ينال أجره. وعادة ما تمثل "الحصة" قدرًا كبيرًا من العمل يُسخّر العمال لأدائه ويخضع لمراقبة شديدة .
- تحسب على العامل كل تحركاته ولا يستطيع أن يضيع دقيقة واحدة من وقت العمل فى الكلام أو اللهو أو الطعام والشراب .
- يعمل العمال كفريق واحد ، فإذا أنجز عامل قدرًا أكبر من الإنتاج ، فلابد أن يحقق ذلك باقى العاملين وإلا تعرضوا لنقص الأجور وهو مبدأ أطلق عليه المنافسة الاشتراكية .
- العامل المتفوق تقتصر مكافأته على زيادة طعامه أو منحه أجازة ترفيهية فى أحد المصايف الحكومية .



- يخضع العامل لما يسمى بنظام "السركى" حيث تُسجّل على العامل كل تحركاته ، وإذا انصرف بدون إذن مديره تعرض لعقوبة شديدة . ويمثل "السركى" كذلك كل البيانات الضرورية المرتبطة بمسيرة العامل . ولا يستطيع الالتحاق بعمل آخر بدون "السركى" الذى تحتفظ به إدارة العمل.

- لا يوجد فى نظام العمل حد أدنى للأجور ويمكن أن يُستقطع من راتب العامل الزهيد أصلاً أى مبلغ فى حالة تقصيره فى العمل .

- كانت لوائح العمل فى بعض المدن شديدة القسوة ، كما فى مجال السكك الحديدية والمصانع الحربية ، فكان العامل الذى يتكرر غيابه عن العمل يعرض للسجن لمدة تتراوح ما بين شهر إلى أربعة أشهر ، كما يُحرم من مسكنه .

- يخضع مدير العمل نفسه لرقابة شديدة فيمكن أن يعتقل إذا ألحق عاملاً بالعمل بدون "السركى" أو إذا ترك عامل عمله بدون إذن !

وكان الذى يدير هذه المنظومة القاسية ما يسمى باتحادات المهن السوفيتية والتى يعين أعضاؤها بمعرفة الحزب الشيوعى .

وبذلك تحول العمال إلى تروس فى ماكينات تعمل بدقة وانتظام ولا يستطيع أحد مخالفة التعليمات وإلا اعتبر من أعداء الشعب وتعرض لعقوبة شديدة .

• ضحايا الاستبداد الشيوعى :

لقد نفذ ستالين خطة الإصلاح بالكرباج ، سواء فى المزارع الجماعية أو فى المصانع .

فأُجبر العاملون فى المصانع على بذل طاقات تفوق طاقاتهم الطبيعية

وقدرتهم على التحمل وسُلِّط عليهم رؤساء متشددون لا يتهاونون فى طرد أو سجن أى عامل لأتفه الأسباب .

ففى خلال الشهور القليلة منذ بدء خطة الإصلاح حدث أن اعتقل 35 مهندسا بتهمة إلحاق التلف ببعض الآلات وإحداث خسائر مادية بالمصانع وقدموا للمحاكمة فى قائمة "كولنس" فى موسكو وصدر ضدهم أحكام الإعدام رميًا بالرصاص !

ولم تكن تلك هى الحادثة الوحيدة من نوعها ، حيث تعرض آلاف العمال للسجن والقتل خلال فترة الإصلاح العصيبة لأسباب بسيطة بحجة إعاقتهم لمسيرة التقدم !

وعاش الشعب الروسى بصفة عامة فى عهد ستالين ذليلاً مغلوبًا على أمره مجبرًا على تنفيذ أوامر السلطة التى فرضها عليه ستالين بالقوة .

كما خضعت المرأة سواء فى المصنع أو المزرعة لنفس ما خضع له الرجال من ضغوط فى العمل لإرغام الشعب على زيادة الإنتاج ، وذلك بصرف النظر عن قدر المرأة الطبيعية على التحمل بالنسبة للرجال وبصرف النظر عن ضرورة تخصيص الوقت الكافى لرعاية المنزل والأبناء .

ومن الطريف أن العاملات فى المصانع كُن يجبرن على قضاء وقت إضافى للعمل مما إضطر المرضعات منهن لتفريغ أثدائهن من اللبن خلال فترة العمل . وبذلك اندمجت الأمومة مع العمل لخدمة السلطة !!

• قوانين العمل الاستبدادية :

وهذه بعض القوانين الأخرى التى توضح مدى الظلم والاستبداد الذى تعرض له العاملون فى المصانع فى عهد ستالين .

- فى سنة 1930م ، صدر قانون يجبر العامل على أن يقبل أى عمل يُعهد إليه وفى أى مكان .

- صدر قانون فى سنة 1930 م ، يُحرِّم على أى عامل ترك عمله من تلقاء نفسه وتكون عقوبة ذلك أن يقضى عشر سنوات فى معسكرات الاعتقال .

- صدر قانون ينص على أنه فى حالة تغيب العامل عن عمله ليوم واحد ، أو إذا تكرر تأخره عن مواعيد العمل ثلاث مرات فى شهر واحد كان جزاؤه الفصل من العمل وحرمانه من بطاقة الاتحاد المثبتة لمهنته والتى تعطيه حق السكن والغذاء ، ويتعرض للحكم بالسجن لمدة تتراوح ما بين ستة شهور إلى سنة .

- صدر قانون ينص على أن العامل يعد مسئولا من الناحية المالية عن أى ضرر يلحق بالمصنع أو بالأدوات بحسب تقدير مدير العمل ، وقد يصل ما يقتطع من أجر العامل إلى عشرة أمثال ما أتلف أو ضاع .

- فى سنة 1940 م ، صدر قانون غاية فى الاستبداد والقسوة حيث نص على أنه من حق مدير العمل أن يفرض عقوبة السجن على العامل لمدة 4 أشهر دون تحقيق أو محاكمة .

- **النتيجة :**

ونتيجة لهذا النظام الذى يشبه السخرة والسجن الكبير الذى أحاط بالمواطنين وسيف الإرهاب والتسلط الذى سُلط على الناس فإن سياسة ستالين الصناعية حققت تقدمًا كبيرًا حيث دارت عجلة الإنتاج بسرعة واستطاع التقدم فى المجال الصناعى أن يعوض إلى حد ما المعاناة الاقتصادية التى خلفتها مشكلة المزارع الجماعية . وصار الاتحاد السوفيتى فى مرحلة الثلاثينيات دولة صناعية كبرى .

ويرجع الفضل فى ذلك إلى الاستغلال المنظم للطبقة العاملة الذي لا يختلف عن نظام السخرة وتجنيد أعداد كبيرة من الأفراد للعمل فى المصانع والشركات والمناجم .

وكان الاهتمام الأكبر فى سياسة ستالين الصناعية هو التوسع فى الصناعات الثقيلة والتى تعد دعامة الحروب الحديثة ، حيث كان الزعماء الشيوعيون يعتقدون دائمًا أن بلادهم مهددة بغزو من الدول الرأسمالية المحيطة بهم . وبذلك كان هناك هدف عسكرى من ذلك التقدم الصناعى .

وجاء الاهتمام بالصناعات الثقيلة على حساب إنتاج السلع الاستهلاكية مما أدى إلى نقص شديد بالمواد الغذائية والملابس وغير ذلك من السلع الضرورية والملابس وغير ذلك من السلع الضرورية للمواطن .

كما ظهرت بحدة مشكلة توافر السكن ، حيث اكتظ العمال فى المناطق الصناعية ، واضطروا للعيش مكدسين داخل المنازل . ولم تحاول الحكومة تعويض ذلك بسرعة إنشاء المساكن . وفضلاً عن ذلك فقد دُمرت الورش والمصانع الصغيرة التى كان يعمل بها أصحاب المهن ، وأجبروا على العمل بالمناطق الصناعية الكبرى ، وهو ما أحدث صورة مشابهة بين المهنيين للأزمة التى عانت منها طبقة الكولاك .

• ديكتاتورية العمال :

لقد أراد ستالين تحقيق ما يسمى بديكتاتورية العمال التى نادى بها المذهب الشيوعى .. بمعنى أن يصبح العمال هم المسيطرون . ولكن ما حدث أنهم صاروا مسخرين وعبيدًا لدى الحكومة .

فيقول لينين عن ديكتاتورية العمال : "إن التطور العلمى للديكتاتورية لا



يعنى شيئًا أكثر من الثورة غير المحددة . القوة التى لا يصدها أى نوع من أنواع القوانين أو الإجراءات . وإنما تعتمد مباشرة على العنف وحده" .

ويؤكد ستالين على فكرة لينين بقوله فى كتابه عن الأسس اللينينية : "إن ديكتاتورية العامل هى سلاح الثورة العمالية وعُدّتها وأهم قواعدها" .. ويقول: "إن ديكتاتورية العامل لا يمكن أن تنشأ نتيجة لتقدم المجتمع البرجوازى الهادئ المسالم ، والديمقراطية البرجوازية ، وإنما تنشأ نتيجة لتحطيم جهاز الحكومة البرجوازية ، وبعبارة أخرى نقول : إن تحطيم الحكومة البرجوازية هو الشرط الأول لنجاح هذه الثورة ، وهو المبدأ الذى لا تحيد عنه الحركة الثورية فى بلاد العالم" .

• اليهود يستولون على أهم الصناعات :

وقد ظهر التحالف بين الشيوعية واليهودية واضحًا فى مجال الصناعة والأعمال حيث أصبحت أغلب الصناعات الضخمة والمصانع الحربية والسكك الحديدية فى يد زمرة من اليهود وهو ما يؤكد وجود ارتباط قوى بين ستالين ومجتمع اليهود .

وقد كتب الكاتب السوفيتى "ثيودور يوننكو" الذى انشق عن الشيوعية وهرب من رومانيا سنة 1938 م فى مقال له عن هذه الناحية فى نشرة جريدة "جورنال دى إيطاليا" يقول : "لقد وعد البلاشفة العمال بإعطائهم المصانع والمناجم وجعلهم سادة البلاد ؛ والواقع أن العمال لم يعانوا ضروبًا من الحرمان كالتى ذاقوها فى العهد المسمى عهد الإشتراكية ، وقد ظهر فى مكان الرأسماليين السابقين طبقة برجوازية جديدة كلها من اليهود ، وقد أصبحت الصناعات الضخمة والمصانع الحربية والسكك الحديدية والتجارة جميعها فى يد اليهود" .





الديكتاتور وطبيب الأسنان[1]

(خلال الفترة بين 1934-1950م مات أكثر من اثنى عشر مليون سوفيتي في معسكرات الاعتقال وكان ذلك في عهد جوزيف ستالين).

(مصادر غربية).

استيقظ ستالين ذات صباح وهو يشعر بألم في أسنانه. وكان الزعيم السوفيتي الراحل يقضي فترة استجمام في منتجع سوخي الذي يطل على البحر الأسود، ونزل في استراحته وهي بيت شيد على الطراز الريفي الروسي التقليدي الذي يطلق عليه اسم (داتشا).

تحسس ستالين بطرف لسانه السن الذي آلمه فتحرك تحت وطأة الضغط. وشعر أن السنّ على وشك السقوط وأن الذي أبقاه في مكانه هو (الطربوش) المعدني الذي يضعه داخل فمه ليحكم أسنانه ويثبتها، وكان لابد من خلع هذا السن المزعج فطلب ستالين من سكرتيره توفستوخا أن يستدعي طبيب الأسنان الخاص بالكرملين من موسكو.

وفي مساء ذلك اليوم وصل الدكتور ليبمان طبيب الأسنان على طائرة خاصة، كان رجلًا نشيطًا ووسيمًا في الأربعين من عمره، وسرعان ما توجه إلى مقر ستالين ليفحص أسنانه، وكان قد عالج الزعيم من آلام ألمت بأسنانه في وقت سابق ونال رضاه، وهي جائزة عظمى لا يكاد أحد يحصل عليها وقتذاك

---

(1) عن كتاب، Antoli Rybakov. Children of the Arbat.

نقلا عن كتاب (حكايات سياسية) للكاتب الصحفي الأستاذ/ ضياء الحاجري. (الناشر، مكتبة ابن سينا)



من ذلك الرجل القوي الذي حكم الاتحاد السوفيتي بعد رحيل لينين بقبضة من حديد، وتذكر ليبمان العبارة التي قالها له ستالين بعد أن عالجه في المرة الأولى (يداك أكثر رقة في العمل من شابيرو) وكان شابيرو هو الطبيب السابق المختص بعلاج أسنان أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي، ولكنه أعفى من العمل في الكرملين لأسباب غير معروفة على الرغم من أنه كان طبيبًا حاذقًا في عمله بشهادة الجميع، ويقال إن ستالين استاء منه لأنه كان يوجه أسئلة كثيرة إليه أثناء فحص أسنانه حتى يستطيع تشخيص سبب الألم بدقة، ولكنه لم يكن يطلعه على حقيقة علته.

وكان ذلك يثير غضب ستالين الذي كان يريد أن يعرف كل شيء ويستاء إذا شعر أن هناك من يحاول أن يخفي عنه شيئًا، ولم يكن شابيرو يتعمد ذلك وإنما كان بطبيعته شخصًا هادئًا يحب العمل في صمت.

أما الدكتور ليبمان فقد كان على العكس من شابيرو، كان ممتلئًا بالحيوية ويرغب في تفسير كل صغيرة وكبيرة في عمله، ولذلك عندما بدأ في فحص أسنان ستالين هذه المرة قدم له وصفًا تفصيليًا عن أحوال أسنانه وضروسه والأنياب والقواطع أيضًا، بل إنه عندما خلع سنًّا من فم ستالين في مرة سابقة لم يلقه في الحوض مثلما فعل شابيرو، وإنما حرص على أن يريه لستالين وأن يشرح له ما حدث للجذور ولماذا كان من الضروري التخلص منه.

ومع ذلك كان ليبمان يشعر بالخوف من ستالين وإن كان ذلك أمرًا عاديًا فالجميع كانوا يخشون من الزعيم، ويبدو أن ستالين أدرك بذكائه ذلك وشعر أنه لو ترك الخوف يسيطر على الطبيب لاهتزت يداه وهو ممسك بأدواته مما قد يحدث جرحًا في فمه، ولذلك حاول التبسط معه لإزالة رهبته وحتى يشعر أنه أمام مريض عادي وليس ذلك الرجل الذي ينحني أمامه رجال السلطة،

سأله الزعيم عن أسرته وأولاده وأحواله الخاصة قبل أن يفتح الطبيب حقيبته ويستخرج أدواته ويجهزها للعمل.



جوزيف ستالين قبل توليه السلطة

أخرج ليبمان مسند الرأس وثبته بعناية في المقعد الذي سيجلس ستالين عليه للكشف، وشعر الزعيم براحة بالغة لهذه الخطوة لأن الطبيب السابق كان يثبت مسند الرأس في المقعد بعد أن يجلس عليه بالفعل، وكان ستالين يكره أن يعمل أحد أي شيء وراء ظهره حتى ولو كان طبيبه المعالج، ربما كان ذلك مصدره تشككه في الناس أو رغبته في معرفة كل ما يدور حوله.

وربط ليبمان منديلًا كبيرًا حول رقبة ستالين، وبلمسة رقيقة أزاح رأسه لتستريح على مسند المقعد، وسأله:

- هل هذا الوضع مريح لك؟

- تمامًا.

مم تشكو إذن؟

هناك سن غير ثابت.

سأنظر في الأمر حالًا، خذ كوب الماء هذا وتمضمض.

وبرشاقة فتح ليبمان فم ستالين وأزال الطربوش المعدني ولمس السن مصدر الألم، ومن يديه انبعثت رائحة طيبة، وبعد برهة قال:

ليست هناك فائدة.. لابد من خلع السن.

كم من الوقت يستغرق العلاج؟

ستلتئم اللثة بعد يومين، ويمكننا صناعة طربوش جديد خلال يوم واحد، فلنقل إن العلاج سيستغرق خمسة أيام.

وهنا صاح ستالين بانفعال شديد:

(هل تريدني أن أسير بدون سن لمدة خمسة أيام؟).

فابتسم ليبمان بهدوء وقال: (لماذا بدون سن؟ يمكننا تعديل هذا الطربوش ليعمل بشكل مؤقت، وأنا طلبت هذه الفترة ليكون العمل سليمًا بما يعود بالفائدة).

وافق ستالين على ما طلبه الطبيب ونهض واقفًا.

وفي صباح اليوم التالي عاد ليبمان ومعه حقيبته، وبعد أن أعاد إجراءات اليوم السابق، جهز حقنة البنج، وقال بعد فترة (سننتظر حتى يبدأ مفعول المخدر وبعد ذلك سأخلع السن، يمكنك في هذه الأثناء إغلاق فمك أو التحدث أو أن تسير في أنحاء الغرفة، ولكن من الأفضل أن تبقى جالسًا في مكانك.

شعر ستالين بالخدر يتسلل إلى لثته وبأنها أصبحت ثقيلة، فحصه الطبيب بهدوء وقال لنفسه إنه لابد أن يكون الزعيم راضيًا عنه لأنه حقنه بالمخدر

بمهارة بحيث لم يشعر بألم الإبرة وهي تخترق جدار اللثة، وكان من المعروف عن ستالين أنه يقدر الرجال الذين يجيدون القيام بمهام وظائفهم، عاد الطبيب إلى أدواته سعيدًا لبراعته المهنية، كان يشعر بالرضى عن عمله وحياته فهو يعمل في الكرملين ويعالج كبار المسئولين السياسيين مما يعطيه ميزات كثيرة، وهذا كان سببًا في إثارة مشاعر الحسد ضده، ولكنه لم يول حاسديه أي اهتمام لسبب بسيط وهو أنه رجل بلا طموحات، مثله في ذلك مثل الغالبية العظمى من سكان العالم، وهذا الرضا الذي يشعر به ليبمان عن حياته يجعل المرء يعتقد أنه سيعيش حتى يبلغ المائة من عمره لأنه ليس هناك ما يقلقه أو يكدر باله.

ربما كان الأمر الوحيد الذي يقلقه هو كيفية الحصول على رضا الزعيم الجالس أمامه في استكانة منتظرًا أن يجذب السن من فمه، ذلك الرجل الذي يحكم الملايين من السوفييت الذين أصبحوا ينظرون إليه برهبة كبيرة ويطلقون عليه وصف (الأب)، والأبناء لا يحترمون سوى الأب قوى الشكيمة الذي يملك يدًا غليظة توقع عليهم العقاب.

نظر ليمان إلى ساعته، وطلب من ستالين مبتسمًا أن يفتح فمه، وبعد برهة استخرج السن وأراها له، وهنا صاح ستالين:

- كيف استطعت ذلك؟ إني لم أشعر بأي شيء على الإطلاق؟

- أبدًا... الفضل يرجع إلى المخدر، ثم إنها كانت على وشك السقوط، لا تأكل شيئًا لمدة ساعتين، ولا تتناول أي شيء ساخن طوال اليوم.

وبعد أن تمضمض ستالين عدة مرات وجفف فمه، فحص الطبيب الطربوش وقال (إنه مصنوع من مواد جيدة.. إنه خليط من الذهب والبلاتين

والبلاديوم، لن تحتاجه بعد الآن فسنقوم بصنع آخر جديد، ولكني أعتقد أنه من الأفضل أن نصنع واحدًا أكثر بساطة من هذا).

ماذا تعني بكلمة بساطة؟

نستطيع أن نصنعه من البلاستيك بدلًا من المعدن.

- هل هذا ضروري؟

- لأنه عندما يكون الطربوش مصنوعًا من مادة خفيفة الوزن فإنه لا يمثل ضغطًا على الأسنان، كما يمكنه تثبيت أي عدد من الأسنان الصناعية.

- هل تريدني أن أركب سنًا صناعيًا مثل رجل عجوز؟

- لماذا تقول ذلك؟ إن الرجال المسنين ليس لديهم أسنان على الإطلاق، بينما لديك العديد منها.

وكان ستالين ينزعج من فكرة تركيب الأسنان الصناعية لأنه كان يربط بينها وبين (طاقم الأسنان) الذي يستخدمه كبار السن. ويبدو أنه كان يرغب في أن يبدو بعيدًا عن الشيخوخة وأعراضها، والآن يعرض عليه الدكتور ليبمان هذا (الطربوش) البلاستيك، ويعامله كأنه مريض عادي، هل نسى هذا الطبيب أن ملايين المواطنين الروس يتطلعون إلى وجه الزعيم ويتفرسون في ملامحه.

وعندما طافت هذه الفكرة بذهن ستالين صاح في وجه الطبيب: (اصنعه من الذهب) ولم يستطع ليبمان الاعتراض، وقدم بعض الأقراص المسكنة إلى ستالين وغادر المكان.

توجه ستالين إلى المرآة المعلقة بالحائط وفتح فمه ونظر إلى المكان الشاغر داخل فمه، وشعر أن صورته مزعجة، وأحصى الأسنان المتبقية له بفكه العلوي: خمس وكلها مصبوغة باللون الأصفر بفعل التدخين.

وفي هذا اليوم لم يستقبل أحدًا، ولم يشعر بألم الجرح ولذا لم يجد بنفسه حاجة لتناول الأقراص المسكنة، ولكنه نفذ تعليمات الطبيب بشأن الشراب والطعام بدقة.



ستالين في أوج قوته

وفي صباح اليوم التالي عاد الدكتور ليبمان ليفحص الزعيم، وأعلن أنه راض تمامًا عن حال أسنانه، وبدأ في إعداد القلب الشمعي لقياس حجم السن المخلوع، وشعر ستالين بالضيق لهذه العملية بسبب رائحة الشمع وما تركه من آثار داخل فمه.

وفوجيء ستالين بالطبيب يعود مرة أخرى لإثارة موضوع المادة التي سيصنع منها الطربوش، ووجد ستالين نفسه يدق بقبضته بعنف على مسند المقعد ويصيح (أعتقد أنني قلت لك بلغة روسية واضحة إنني أريده من الذهب وليس من البلاستيك).

فغمغم ليبمان بسرعة (نعم... بالطبع... سأفعل كما تقول... وسيكون جاهزًا صباح الغد، ولكن هل تسمح بإجراء مقارنة بين لون أسنانك وبين عدد من عينات الأسنان الصناعية).

استراح ستالين في مقعده مرة أخرى، وراقب الطبيب وهو يعمل، وكان من السهل أن يلاحظ علامات الخوف والارتباك بادية عليه. ولكن هذا لم يمنع ستالين من أن يأمره بأن ينهي عمله بسرعة لأنه شعر بضيق من جراء فتح فمه لمدة طويلة.

وعندما جاء صباح اليوم التالي طلب ستالين من سكرتيره أن ينادي الطبيب الذي كان قد وعد بأن السنّ سيكون جاهزًا صباح ذلك اليوم، غير أن السكرتير تردد برهة قبل أن يقول إن الطبيب ليس جاهزًا بعد، واكفهر وجه الزعيم وقال (احضروه فورًا).

بعد بضع دقائق جاء الدكتور ليبمان وهو لا يكاد يستطيع أن يلتقط أنفاسه من رهبة الموقف، نظر إليه ستالين مليًا ثم قال (لماذا لم تنفذ وعدك الذي تعهدت به بالأمس؟) فرد الطبيب (لأن ذلك لم يكن ممكنًا).

وعاد الزعيم يسأل وهو يحدق في الطبيب بنظرة مخيفة (وما المانع؟).

ووقف ليبمان حائرًا لا يجد إجابة جاهزة.

وصاح ستالين:

- أخبرني بالحقيقة.
- حسنًا، لم أجد أيًا من الأسنان الصناعية التي جئت بها تصلح لك.
- ولماذا لم تحضر معك الأسنان المطلوبة؟
- لقد أحضرت معي جميع الأسنان المتاحة.
- وماذا بعد؟
- أنت تعلم أن الأسنان الطبيعية يتغير لونها خاصة إذا كان أصحابها يدخنون والسن الصناعي الذي توصلت إليه يناسبك تمامًا، لولا أن هناك فارقًا بسيطًا في الظلال.

- هل هو ملحوظ؟

- لا.. ولكن الخبير يستطيع رصده.

- لا شأن لي بالخبراء.

- لا أود أن يقال إني لم أتقن عملي.

وهنا تجهم ستالين مرة أخرى وقال بصوت ينم عن الضيق (أتتركني أسير هكذا بدون سن لمجرد أن يقال إنك طبيب ماهر- متى ستفرغ منه إذن؟

- لقد اتصلت بموسكو هاتفيًا وطلبت إرسال المزيد من الأسنان الصناعية وأبلغتهم بأرقامها في الكتالوج.

- ولكنك ذكرت توًا إنك أحضرت معك جميع الأسنان المتاحة.

- إنهم سيحصلون عليها.

- من أين؟!

فرد الطبيب بصوت خفيض دون أن يرفع عينيه:

- من برلين.

- برلين؟!

- لقد اشتريتها من كتالوج ألماني.

- ولماذا لم تقل لي ذلك من البداية.

ولم يجد الدكتور ليبمان ما يقوله!

وصاح ستالين: (هل أمرك أحد بألا تخبرني؟).

وتحول الطبيب إلى كتلة من الصمت.

وعاود ستالين السؤال: (هل هو توفستوخا السكرتير؟).

ووجد الطبيب نفسه يرد بإيماءه من رأسه لا تكاد أن تلحظ.

وأدرك أنه سيتعرض لعاصفة غاضبة من الزعيم الذي قال مؤنبًا (ضع ما سأقوله في ذهنك جيدًا، يجب عليك أن تخبر الرفيق ستالين بكل شيء، ولا ينبغي عليك أن تخفي عنه شيئًا، وهناك مسألة أخرى يجب أن تعلمها وهي أنه من المستحيل أن يخفي أحد شيئًا عن الرفيق ستالين، فعاجلًا أم آجلًا سيعرف الحقيقة).

لم يكن ما ضايق ستالين هو استيراد الأسنان من الخارج فقد كانت هذه مسألة ثانوية بالنسبة له، ولكن ما أثار غضبه هو أن هناك من ضغط على الطبيب ليكذب عليه، كان يعتقد أنه ليس من حق أي فرد في حاشيته أن يتحدث كذبًا، وكان يقول إن الكذبة الصغيرة تؤدي إلى كذبة أكبر وهكذا.

وسرعان ما استدعى توفستوخا السكرتير بعد أن صرف الطبيب وسأله:

- لماذا جعلت الطبيب يكذب علي؟

وكان الرد غير متوقع.

- كنت أعتقد أنك ستمنع شراء الأسنان الصناعية من برلين.

وأخذ ستالين يقطع الغرفة جيئة وذهابًا، ويفكر في ضرورة معاقبة الكاذب. وتوقف الزعيم قبالة السكرتير وحدقه بنظرة صارمة، فتراجع توفستوخا إلى الوراء خطوتين وقد اصطبغ وجهه بالحمرة، وجاءت إليه كلمات ستالين الغاضبة:

- إنني لا أريد أن أكون محاطًا بالكذابين والمخادعين، يجب أن أكون قادرًا على الثقة في الأشخاص المحيطين بي ثقة مطلقة، ولا ينبغي على هؤلاء الكذب حتى فيما يتعلق بالمسائل التافهة.

وشعر السكرتير أن ستالين نطق الكلمات الأخيرة بطريقة لينة مما يوحي بأنه سيصفح عنه، فتشجع وقال: (سامحني... لقد تصرفت دون تفكير).



ولكن توفستوخا أساء تقدير مشاعر الزعيم، فقد حدجه بنظرة قاسية وقال بصوت متهدج من فرط الانفعال (سوف أنزل أقسى العقاب بمن يكذب حتى ولو كانت كذبة صغيرة للغاية).

ورد السكرتير في اعتذار (لن يحدث هذا مرة ثانية أيها الرفيق ستالين).

بعد ذلك استمرت إجراءات العلاج كما ينبغي، وشعر ستالين برضا بالغ عن طبيبه وعن براعته المهنية، وتم صنع (الطربوش) من الذهب كما شاء ستالين وكان مريحًا له مما جعله يوبخ الطبيب على فكرته الأولى بصنعه من البلاستيك.

وقبل أن ينصرف الدكتور ليبمان، تردد برهة قبل أن يقول (أيها الرفيق ستالين، حيث أنك معجب بعملي فإنني أود أن أطلب منك معروفًا صغيرًا).

عبس ستالين، فهو لم يكن يحب أن يطلب الناس منه طلبات خاصة بشكل مباشر، وكان يفضل أن يتم ذلك عن طريق سكرتيره أو معاونيه، ولم ينتظر ليبمان تعليق ستالين على طلبه، بل أسرع بفتح حقيبته واستخرج منها لفافة بداخلها (طربوش) من البلاستيك، وقال (إنني أرجوك أيها الرفيق ستالين أن تجرب هذا (الطربوش) لمدة يوم واحد وقرر بنفسك أيًا منهما أكثر راحة بالنسبة لك).

رفع ستالين حاجبيه في دهشة، لقد أعلن مرارًا بوضوح أنه لا يريد مادة البلاستيك وإنما المعدن، بل إنه دق بقبضته غاضبًا على مسند المقعد عندما أثير هذا الموضوع من قبل ليعلن رفضه لمنطق الطبيب، ووقتها وقع قلب الطبيب في قدمبه من شدة الخوف، ولكنه يقف الآن أمامه مرة أخرى ليحاول إقناعه

بفكرته، بل إنه مصر عليها، ربما كان صادقًا وأن البلاستيك أفضل، فلماذا لا يعطيه فرصة ويجرب ما أوصى به.

وقرر ستالين أن يجرب (الطربوش) البلاستيك لمدة يوم واحدًا.

وفي اليوم التالي استدعى الطبيب وأخبره أن (الطربوش) البلاستيك مريح بدرجة أكبر وأفضل من ناحية الثقل، وطلب منه أن يصنع له واحدًا آخر كاحتياطي لربما تعرض للكسر، وهنا- تبسم ليبمان وقال: (سأصنع لك عشرة).

وفي النهاية طلب ستالين من الطبيب أن يجلس إلى مائدته ليشاطره بعض لقيمات من الطعام كعلامة على الود والتقدير، ثم أمر سكرتيره بإهدائه إناء مليء بالعنب وزجاجات من النبيذ، على أن ينتظره أحد العاملين بالكرملين في المطار لتوصيله إلى منزله في موسكو.

وبعد أن غادر الدكتور ليبمان المكان، اجتمع ستالين مع سيرجي كيروف رئيس فرع الحزب في ليننجراد ومع مسئول بارز آخر بالحزب، وقص ستالين عليهما كيف أصر طبيب الأسنان على إقناعه بتجربة (الطربوش) البلاستيك وقال ستالين (لقد اقتنعت بأن فكرته أفضل وقد اعترفت له بهذه الحقيقة، وأعني بذلك أنه كان محقًا في الإصرار على فكرته، وإني أتساءل لماذا فعل ذلك؟ كان بإمكانه أن يوافقني على ما أريد بسهولة، ولكن لم يفعل ذلك وصمم على موقفه، ولم يخش نتائج هذا الموقف، وفي اعتقادي أنه رجل ينتمي بصدق إلى الطبقة العاملة ويستحق أعلى درجات الفخار المهني من نفس النوع الذي ينبغي علينا أن نزرعه في وجدان شعبنا).

وابتسم كيروف قائلًا: (إن الدكتور ليبمان شخص لطيف حقًا).

وهنا توقف ستالين مفكرًا قبل أن يوجه هذا السؤال (هل عالجك أنت أيضًا؟).

فرد كيروف (كلا... ولكني رأيته عند الشاطئ).

وفكر ستالين لبرهة أخرى وتذكر أنه سأل الدكتور ليبمان أثناء فترة علاجه إن كان يشعر بالملل في سوخي فرد بالنفي، وهنا خاطب كيروف قائلًا: (إذن فكلا كما لم يشعر بالملل أثناء وجوده في سوخي).

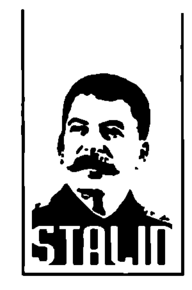
وأدرك كيروف أن ستالين يشك في صلة ما بينه وبين الطبيب، فقد استشف من بين طيات الكلام مشاعر الغيرة والشك، وحاول أن يبدد هذا الإحساس فقال: (إن الشاطئ كان مهجورًا، ولم يكن هناك من يسبح في مياه البحر غير الدكتور ليبمان وأنا، وقد رأيته مرتين فترك انطباعًا طيبًا لدي.

فاستطرد ستالين قائلًا بلا مبالاة (حقًا... إن هذا الطبيب ثرثار).

وعندما حل المساء.. انهمك ستالين في قراءة الخطابات وتوقيع بعض الأوراق، وما إن فرغ حتى نادى سكرتيره وقدم له قصاصة من الورق مدون عليها هذه التعليمات:

(يستبدل الدكتور ليبمان بطبيب أسنان آخر ويعفى من العمل بمستشفى الكرملين.. ولكن لا يمسه أحد بسوء).





الشعب المعزول والحريات المنزوعة



• الستار الحديدى:

لقد أحاط ستالين البلاد بما يشبه الستار الحديدى والذى امتد ليحيط كذلك بدول الكتلة الشيوعية التى خضعت لسيطرة ستالين .

فلم يكن يُسمح للروس بمغادرة البلاد بدون تصريح ولأسباب قوية جدًا .. ولا يُسمح كذلك للأجانب بدخول البلاد إلا لأغراض سياسية قوية ، كزيارات الدبلوماسيين .

لقد اعتبر ستالين أن الأجانب أو أهل الغرب هم من الرأسماليين الفاسدين أعداء الشعب وأن اختلاطهم بالروس يمكن أن ينشر بينهم أفكارهم المسمومة !

وتبعًا لذلك قيدت الحريات وحركة تبادل الثقافة والمعارف بين الروس وغيرهم من الدول الأخرى . وعاش الروس معزولين عن العالم الخارجى .

وسخر ستالين ملايين الجنود لمراقبة الحدود وأمر بقتل أى متسلل إلى خارج البلاد أو إلى داخلها ولم يكن مسموحًا بدخول أى كتب أو صحف من خارج الاتحاد السوفيتى تحمل أفكارًا مختلفة عن الاتجاه الشيوعى .

كما خضعت الصحف الروسية لرقابة شديدة وكانت جميعها صحفًا قومية تنطق بلسان الحاكم كصحيفة "برافدا" .

لقد أراد ستالين فى حقيقة الأمر بتلك العزلة التى فرضها على الشعب



إخفاء ما يعيش فيه الروس من فقر فكأنه اصطاد الروس داخل مصيدة وصار ينكل بهم فى الخفاء !

وفضلاً عن ذلك فقد نشر البوليس السرى بزعامة بيريا رجاله فى كل مكان للتجسس على الشعب ، فاندسوا فى أماكن العمل بين الموظفين ، وفى المصانع بين العمال ، وفى الملاهى ، وفى النوادى الرياضية ، وفى محطات السكك الحديدية ، وفى النقابات العمالية ، وغير ذلك .

ومنح رجال البوليس السرى سلطة مطلقة فكان من حقهم تفتيش المنازل أو المصانع فى أى وقت.. واقتياد أى شخص للمحاكمة .

وكان لابد لكل زائر للبلاد أن يمر أولاً على البوليس السرى لسؤاله عن أسباب الزيارة ، وتدوين اسمه ومحل إقامته وغير ذلك .

ومن الطريف أنه عندما كان يتردد على البلاد بعض الزائرين الأجانب كان البوليس السرى يحدد لهم الأماكن النموذجية التى يختارها لزيارتهم كمدرسة ، أو مصنع ، بحيث لا يرون أثناء زيارتهم إلا نماذج مثالية تشيد بنظام ستالين فى الخارج . وبذلك عاش الشعب الروسى مكبل الحرية من الداخل ومن الخارج وصارت كل خطواته مراقبة ومحسوبة .

• مشروعية التجسس :

كما أصبح التجسس على الآخرين عملاً مشروعًا فى النظام الشيوعى والذى برز فى عهد ستالين بدرجة واضحة كبيرة .

ويقول عنه الكاتب الروسى كرافشنكو فى كتابه "آثرت الحرية" : "إن للشرطة السرية عيونًا راصدة وآذانًا مرهفة ، فهم يرون كل شىء ويسمعون كل شىء ، وقد تأكدت من وجود شبكة من الجواسيس لا يعرف بعضهم البعض

خلف السلطات الشكلية والمديرين الاقتصاديين ، ووراء الحكومة الظاهرة حكومة أخرى حقيقية" .


كراڤشنكو

ويقول فى موضوع آخر : "واشتد شعورنا عندئذ بأننا محاطون من كل جانب بالعيون الرواصد والآذان المنصتة ، تلك العيون والآذان التى تختفى عن النظر ، ولكنك تحس وجودها فى كل مكان؛ وكذلك اشتد شعورنا بالأضابير الضخمة التى سجّلت فى أوراقها دخائل حياتنا الخاصة ومكنون أفكارنا ، وبأعدائنا الذين قد ينتهزون مثل هذه الفرصة فيبرزون ما لنا من سقطات ، ما هو حقيقى منها وما هو من نسج الخيال" .

• الصدام مع المجتمع الرأسمالى :

ولكن كيف كان ينظر ستالين للعالم الآخر الرأسمالى ، والذى كان يشتمل فى رأى الشيوعيين على كل ما هو ليس شيوعيًا ؟! لقد اعتبر الشيوعيون أن ذلك العالم هو أساس بلاء الشعوب ، وأن الصراع بين الشيوعية والرأسمالية أمر حتمى حتى يتحقق الانتصار لأحد الطرفين .

وقد عبّر ستالين عن هذا الفكر فى كتابه الأسس اللينينية ، فقال : "الحقيقة الأساسية هى أنه لا يوجد نظام رأسمالى شامل ، والآن وقد ظهرت فى الوجود دولة شيوعية ، فإن الرأسمالية الواسعة قد امتنع وجودها ، وقد انقسم العالم إلى معسكرين : معسكر أنصار الاستعمار ، والمعسكر المقاوم للاستعمار ؛ ونحن لا نعيش فى حكومة واحدة ، بل فى نظام حكومات : ومن غير المعقول أن تستمر جمهورية الاتحاد السوفيتى فى الوجود إلى جانب الحكومات الاستعمارية ، ولابد أن تتغلب فى النهاية إحدى هذه الحكومات : وخلال هذا التطور لابد من وقوع مصادمات فظيعة بين جمهورية السوفيت والدول البرجوازية!" .



فليحيا ستالين .. الرفيق العظيم



• ظاهرة "الفرد المقدس" !

لعل أبرز شخصية فى التاريخ حظيت بألقاب عديدة تمجدها وبأبيات شعر تمتدحها وبتماثيل وصور فاقت الحصر كانت شخصية ستالين ، والذى اكتسب صورة الفرد المقدس !

إنه خلال سنواته الأخيرة لم يعد يطلق اسم ستالين كثيرًا ، وإنما حلَّت ألقاب كثيرة تشير إليه وتبرزه بالقوة والمجد والعظمة .. مثل : الرفيق العظيم.. والمعلم والأب الحكيم .. النسر الكبير .. المُعلّم والمرشد .

والزائر للاتحاد السوفيتى فى تلك السنوات الأخيرة من حكم ستالين كان يدهشه بلاشك كم الصور الهائل للرفيق العظيم ..والتى يراها فى كل مكان سواء كان مدرسة أو مصنعًا أو ميدانًا أو حتى ورشة صغيرة .

• - تماثيل ستالين :

كما تبارى النحاتون فى تصميم تماثيل لستالين ، وكانوا يحرصون دائمًا على جعل تلك التماثيل تنطق بالقوة والعظمة وتفوق عادة حجم ستالين الطبيعى. وستالين يعد صاحب أكبر تمثال صمم لإنسان[1] .

ووضعت تماثيله فى مناطق متفرقة من الاتحاد السوفيتى .. ومن أبرزها

---

(1) وصار على نهجه الطغاة العرب كصدام حسين وحافظ الأسد ومعمر القذافى فكان مصيرهم جميعًا هو مزبلة التاريخ (الناشر) .



تمثاله المميز على سفح جبل البرز فى القوقاز والذى يرتفع عن مستوى سطح البحر بنحو 19 ألف قدم .. وكُتب على قاعدته : "فوق أعلى قمة فى أوربا أقمنا تمثالا لأعظم رجل فى هذا العصر" .



أحد تماثيل ستالين الكثيرة التى انتشرت فى أنحاء الاتحاد السوفيتى

• أشعار لمدح ستالين :

أما الشعراء والأدباء الروس فامتدحوه كذلك فى أشعارهم وكتاباتهم، واعتبره الكثيرون منهم أعظم قائد فى التاريخ . وعندما قال أحدهم فى مدحه : "إنه كالشمس يبدو عاليًا قويًا" .. فإن كاتب روسيا الشهير تولستوى أضاف إلى ذلك بقوله "إنه أكثر من الشمس .. لأن الشمس لا حكمة لها" !

وقال أديب آخر عنه : "إن الحروف التى يحملها اسم ستالين س ، ت ، أ ، ل ، ى ، ن ينبغى أن تزهو وتتراقص لأنها تحمل اسمه !

أما راديو موسكو فجعل مدح وتعظيم ستالين مادة ضرورية يذيعها من وقت لآخر .. وكانت البرامج تتناول باستمرار إنجازاته العظيمة وما قدمه من مشروعات كبيرة لأجل الاستقرار والرخاء .

لقد كانت تلك الشعارات وعبارات المدح والتبجيل والتماثيل الكثيرة التى امتلأت بها أركان الاتحاد السوڤيتى توحى بأن السوڤيت قد نسوا الله وقدسوا ستالين !

• حملات تطهير الساحة الأدبية والفنية ووسائل الإعلام :

إن كل مجال فى الاتحاد السوڤيتى كان عليه أن يؤيد ستالين ويمتدحه .

فكانت وسائل الإعلام والصحف مسخرة لذلك الغرض .

وتعرض الفنانون والأدباء لسيطرة المجال السياسى وأجبروا على تأييد ومدح ستالين فى أعمالهم .

وكانت حملات تطهير المجال الأدبى والفنى متكررة من حين لآخر . وكانت أقواها تلك الحملة التى جرت فى سنة 1947م وكان ضحاياها عددًا كبيرًا من الكتّاب والمفكرين أمثال الكسندر فارلف ، وإيليا اهرنبرج ، وألكسندر ماكاروف وكذلك قسطنطين سيمونوف رئيس جمعية المؤلفين الروس .

وكانت أسباب اعتقالهم واهية وتبدو طريفة ومضحكة .

فيذكر أن سبب اعتقال ألكسندر فارلف أنه كتب قصة بعنوان "الحارس الشاب" ولم يصف فيها الألمان بالقسوة الكافية وبالتعطش لسفك الدماء وغير ذلك من الأوصاف القاسية التى كانت تدور برأس ستالين ولم يتوصل إليها المؤلف ويكتبها بروايته !

• ستالين يتخذ من المصحات النفسية مراكز للاعتقال والإرهاب!

لقد لجأ ستالين أحيانًا لاستخدام المصحات النفسية كمراكز للاعتقال، وقد ضمت الكثير من الأدباء والشعراء والصحفيين والفنانين الذين لم يرض



ستالين عنهم أو عن أعمالهم الأدبية أو الفنية أو وجد بها ما يحمل صفة التحريض .

ومن أمثال هؤلاء الكاتب الروسى سينيافسكى والكاتب الروسى دانييل والبيولوجى ميدفيديف والذين احتجزوا بصورة تعسفية فى المصحات النفسية ثم أفرج عنهم بعد وفاة ستالين .

- **اسم ستالين يطلق على الميادين والشوارع :**

كما يعتبر ستالين أكثر زعيم سُميّت على اسمه مدن كثيرة مثل : ستالينجراد ، وستالينى ، ونستالينيكا ، وستالينيز ، وستالينسكويا ، وستالينو ، وغير ذلك .

أما الشوارع والجسور والمتاجر ومحطات الركاب التى اكتسبت اسم ستالين أو نسبت إليه فى مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتى فيصعب حصرها !

- **ستالين .. الحاكم المطلق !**

لقد تزايد نفوذ ستالين بدرجة كبيرة بعدما قام بتغيير الدستور القديم الذى وضع فى سنة 1924م ووضع دستورًا جديدًا فى سنة 1936م . ومن خلال نصوص ذلك الدستور تركزت السلطات فى يد ستالين وصار بمثابة حاكم مطلق على أراضى الاتحاد السوفيتى الشاسعة فى آسيا وأوربا.



واتخذ نظام الحكم فى ذلك الدستور شكلاً هرميًا يصير فيه ستالين على قمة الهرم . وفى قاعدة ذلك الهرم تأتى طبقة العمال والكادحين والذين اعتبرهم ستالين أصحاب الحكم ، كما زعم ذلك. ويأتى بعد ذلك طبقات مختلفة تحكم كل طبقة منها الطبقة التى تحتها ، حتى تنتهى السلطات كلها إلى ستالين الذى يترأس القمة . ويتدرج ذلك الهرم من القرية إلى المقاطعة إلى المدينة حتى مجلس السوفيت الأعلى .

وتبعًا لذلك النظام صارت كل طبقة مراقبة بالأخرى ، وصار التجسس عملاً مشروعًا فى ذلك النظام لمقاومة أى انحراف أو خروج عن النظام المحدد ولئلا ينهار النظام بأكمله .

وبذلك تحول ستالين إلى حاكم مطلق ومن تحته طبقات يتجسس أفراد كل طبقة منها على الأخرى!

• سياسة الحزب الأوحد :

وكان كل شىء فى الاتحاد السوفيتى مرجعه إلى الحزب الشيوعى ، فهو الحزب الأوحد الذى لم تظهر إلى جانبه أحزاب أخرى منافسة وكان ستالين هو السكرتير العام للحزب وأعلى رأس فى الدولة . وتغلغل نفوذ الحزب الشيوعى فى جميع مجالات الحياة : سياسيًا ، واقتصاديًا ، واجتماعيًا ، بل وفنيًا وأدبيًا كذلك . وكانت جميع المراكز الكبيرة فى الجهاز الحكومى والمناصب الإدارية يُختار أعضاؤها بمعرفة الحزب . وتبعًا لذلك لم تكن هناك انتخابات حرة ، وإنما كانت تجرى انتخابات شكلية، فكان الفائزون يعرفون مسبقًا بفوزهم قبل إجراء الانتخابات . وتبعًا لذلك لم يكن للفرد إرادة حرة ولا كيان .. فكان الفرد يمثل ، على حسب النظرة الشيوعية ، أداة من أدوات الدولة فى خدمة المصلحة العامة.



رجال ستالين داخل أسوار الكرملين



• زعماء الشر !

أدار الاتحاد السوفيتى ما عرف بالمكتب السياسى والذى كان يضع السياسات ويشرف على تنفيذها من داخل أسوار الكرملين . فكان ستالين يخطط ويقترح ويقوم رجاله داخل المكتب السياسى بالتنفيذ وتكييف الأمور وفق رؤيته؛ فكانوا ذراعه الأيمن ولم يجرؤ أحد منهم على معارضته .

ومثلما دبروا للقتل وإيذاء الكثيرين من أبناء الشعب فكانوا كذلك أشرارًا فى علاقتهم ببعضهم البعض حيث مالوا لبث الفتن والضغائن فيما بينهم ليتمتع كل منهم بالأفضلية لدى زعيمهم القوى .

فمن كان أبرز هؤلاء الرجال ؟ ومن كان أقربهم إلى ستالين ؟

• بيريا .. مُنفذ عمليات الاغتيال :

علينا أن نتوقع أن يكون "بيريا" رئيس جهاز الشرطة السرية هو من أقرب رجال الكرملين إلى ستالين .. فهو كاتم أسراره وحارسه المخلص وذراعه اليمنى التى تقتل وتغتال .وقد عينه ستالين عضوًا بالمكتب السياسى فى سنة 1946م ، كما ضمه لمجلس السوفيت الأعلى ، ومنحه لقب ماريشال.



بيريا

لقد ربطت ستالين ببيريا علاقة صداقة قوية

بالإضافة لعلاقتهما السياسية داخل البرلمان . واسمه بالكامل "لافرنتى باقلوفيتش بيريا" .

وتولى بيريا كذلك تكوين شبكة من الجواسيس لنقل أخبار تصنيع القنبلة الذرية بالولايات المتحدة ومعرفة أسرارها .

ومن الطريف أنه رغم تلك العلاقة القوية بين ستالين وبيريا فقد ظهرت شائعة تتهم بيريا بدس السم لطعام ستالين وبأنه هو قاتله الفعلى !

• بولجانين.. قائد القوات الحربية :

أما "نيكولا ألكسندروفيتش بولجانين" فقد برز اسمه جليًا خلال الحرب العالمية الثانية حيث شغل منصب قائد القوات الحربية .

وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التى لاقاها الاتحاد السوفيتى فى الحرب وما وقع فيه من أخطاء استراتيجية ، إلا أن ستالين أعجب ببولجالين وضمه لمكتبه السياسى بعد الحرب فى سنة 1946م .

بولجانين

• مولوتوف .. زميل الكفاح :

لقد كان "ياستيلاف ميخايلوفيتش مولوتوف" من أوائل الذين انضموا للحزب الشيوعى فى بدايته فهو أحد رفاق الكفاح . وقد ضمه ستالين للمكتب السياسى وشغل منصب وزير الخارجية .. حيث كان مقربًا إليه وبخاصة أنه من أبناء جورجيا مثله .

لقد كان مولتوف ردىء الهيئة كأنه موظف مقهور فى مكتب حكومى .

ولذا فإنه عندما تقابل مع هتلر لتوقيع معاهدة عدم الاعتداء بين روسيا

وألمانيا فى سنة 1939م ، علّق هتلر على زيارته قائلاً : "يبدو أننا يجب أن نغزو روسيا" بعدما وجد أمامه رجلاً سيئ المظهر غير جدير بالتقدير والاحترام!

• كاجانوفيتش .. المراوغ الماهر واليهودى الماكر !

أما "لازار موسييفيتش كاجانوفيتش" فكان بمثابة الذراع اليمنى لستالين فى حل الخلافات والمشاكل المعقدة .. وكان يهوديًا اتصف بالمكر والقدرة على المراوغة والإقناع .

ولذا فإن ستالين كان يبعث به لحل أى خلاف عندما تتعقد الأمور .

وكان كثير الظهور فى الحفلات الدبلوماسية بخلاف أغلب أعضاء المجلس السياسى الآخرين .

ومن الطريف أن كاجانوفيتش ، والذى اشتهر باسم "اليهودى" داخل المجلس ، كان يعمل فى الماضى صانعًا للأحذية !

• خروشوف .. سكرتير عام الحزب الشيوعى :

أما "نيكيتا خروشوف" فقد كان كذلك من أبرز أعضاء المكتب السياسى ورشّحه مولوتوف ليكون رئيسًا عامًا للحزب الشيوعى بعد وفاة ستالين .

لقد كان من المتوقع أن يخلف مولوتوف ستالين بعد وفاته .. ولكنه كان كبير السن وضعيف الصحة ، وكانت تنقصه صفة القائد ، فاعتبره الكثيرون رجلاً عاديًا من أعضاء الجزب .

وتبعًا لذلك ظهر اثنان فى المقدمة لخلافة ستالين وهما بيريا وخروشوف وعلى الرغم مما حاول بيريا تدبيره من مكائد لإسقاط خروشوف إلا أن كفة خروشوف كانت هى الأرجح فى ذلك الاختيار .



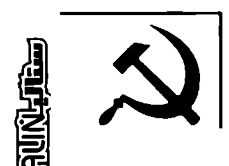
خروشوف .. وستالين فى بداية الثلاثينيات

• ميكوبان .. وزير التجارة الخارجية

أما "أناستاس أيفانوفيتش ميكوبان" الأرمنى الأصل فكان كذلك من أشد المقربين إلى ستالين وكوّن مع ستالين وبيريا ما عرف بالأقطاب الثلاثة فى المكتب السياسى . وهو من مواليد أرمينيا ، لكنه استطاع كسب ود ستالين والذى ضمه للمكتب السياسى وعينه وزيرًا للتجارة الخارجية .



ستالين وميكوبان، و أوردجونيكيدزه



ستالين .. والحرب العالمية الثانية



• المتآمران الخائنان :

فى أغسطس 1939م ، انتشرت مجمموعة كبيرة من الأعلام الألمانية بشوارع موسكو ترحيبًا بقدوم وزير خارجية "أدولف هتلر" والذى كان على وشك الوصول للعاصمة .

كان سبب تلك الزيارة توقيع معاهدة نازية روسية بين ستالين وهتلر تقضى بعدم تعرُّض كليهما للآخر خلال فترة الحرب العالمية الثانية ، وتقضى كذلك بتزويد النازيين بالبترول والفحم والغلال فى مقابل الاستفادة الروسية من التكنولوجيا الحربية الألمانية .

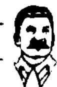
وقد كانت تلك المعاهدة النازية بمثابة صدمة للأحزاب الشيوعية على مستوى العالم حيث أدركوا من ذلك أنهم أصبحوا حلفاء للنازية .

وبناء على تلك المعاهدة ، بدأ السوفيت تزويد الألمان بكميات ضخمة من البترول والنحاس والمطاط وغير ذلك من المعادن والمواد الضرورية لمساندة النازية فى حربها .

• مذابح ستالين فى بولندا :

وكانت بولندا هى أول الدول الأوربية التى استسلمت فى الحرب بعدما تعرضت لهجوم شرس من ديكتاتورين وهما هتلر وستالين .

ووصل الجيش الأحمر تسانده قوات الشرطة السرية إلى البلاد وقام





بحملة واسعة من القتل والسجن للبولنديين ، وأقام مركزًا للسلطة فى مدينة "لفوف" والتى كانت تعتبر من أقدم وأجمل المدن البولندية .

وفى سبتمبر 1939م ، بدأ عقد مفاوضات بين الضباط السوفيت والنازيين لتقسيم بولندا .

وفى 14 يونية 1940م ، استسلمت فرنسا . وفى اليوم التالى بدأت قوات الجيش الأحمر فى التحرك تجاه جمهوريات البلطيق المستقلة ، واستولت على لاتفيا ، وليتوانيا ، واستونيا ، وبدأت قوات الاحتلال السوفيتى فى عمليات التصفية والتطهير حيث تخلصت من كل المتمردين والثوار ، فتم اعتقال الآلاف، وإرسال الآلاف فوق ظهور السفن إلى المنفى فى جولاج .

أما الهدف التالى لستالين ، فكان فنلندا ، وقد كلفه الاستيلاء عليها جهدًا كبيرًا بسبب طبيعتها المظلمة وانتشار الغابات الثلجية بها ، وقد استطاعت قوات المقاومة الفنلندية أن تتصدى لقوات الاحتلال على مدى بضعة شهور حيث ساعدتهم ظروف الطبيعة التى تكيفوا معها على مواجهة الغزاة ، وكانوا يقاتلون السوفيت فوق زحافات الجليد التى وضعوها بأقدامهم . لكنه مع حلول صيف 1941م استطاع ستالين أن يفرض سيطرته على غالبية المناطق التى عُهدت إليه بالاتفاق مع هتلر.

وحتى ذلك الحين كانت الأمور تسير على مايرام بين هتلر وستالين . وكانت بنود المعاهدة بينهما تطبق تطبيقًا عادلاً ثم ظهرت نوايا هتلر فى الغدر بستالين والخروج عن بنود المعاهدة .

وكان من المنتظر بكل تأكيد حدوث ذلك سواء عاجلاً أو آجلاً . فقد كان هتلر يكن عداء قويًا تجاه الشيوعيين واليهود .. وهو فى نفس الوقت الذى صرح أكثر من مرة بأن الشيوعية فكرة يهودية قذرة ! .. كما أنه فضلاً عن ذلك كان يتطلع دائمًا للتوسع تجاه الشرق من خلال نواياه التوسعية الديكتاتورية.



• بدء الصراع بين هتلر وستالين :

وبعد مرور سنتين تقريبًا على توقيع المعاهدة الروسية النازية بدأت القوات النازية فى الاتجاه ناحية روسيا .



واشتعلت فى يونية 1941م حرب شرسة من قبل القوات النازية على روسيا .

وهنا وقع ستالين فى مشكلة كبيرة ، فقد اشتملت حركة التطهير التى قام بها على التخلص من أكبر جنرالات الجيش الأحمر ، وها هو قد صار الآن فى حاجة لهم !

ومن ناحية أخرى ، لم يكن ستالين مستعدًا من الناحية الحربية لتلك الحرب المباغتة . ولذا فإنه على مدار الفترة مابين 1941م – 1942م شهدت المصانع الحربية نشاطًا مكثفًا لإنتاج أكبر عدد من الأسلحة والطائرات الحربية .

ودعا ستالين للانضمام للجيش كل روسى قادر على حمل السلاح سواء من الرجال أو النساء .

• الكاذب الكبير :

وقام ستالين بتوجيه خطاب للشعب السوفيتى وكان هو ثانى خطاب له على مدار ثلاثين عامًا من فترة حكمه !

وفى ذلك الخطاب التاريخى كشف ستالين بوضوح عن جانب آخر من شخصيته ككاذب كبير . فقد أخبر شعبه بكذبتين كبيرتين ، فادعى أن الألمان فقدوا نحو 4.5 مليون جندى وأن الانتصار السوفيتى أصبح وشيكًا ولم يكن شيئًا من ذلك صحيحًا حيث كانت خسائر السوفيت فى زيادة مستمرة وباتت على مشارف الهزيمة .

فقد اعتمد ستالين خلال تلك الحرب على الدعاية الكاذبة لرفع الروح المعنوية للسوفيت وحثهم على الصمود .

ولكن كيف كان موقف السوفيت من تلك الحرب ؟

إنه فى الحقيقة أن كثيرًا من السوفيت لم يتحمسوا لتلك الحرب .. فكانوا يشعرون بأنهم يخوضون حربًا للدفاع عن ستالين الذى كرهوه .. بل إن بعضهم مال للتعاون مع القوات النازية .

وكانت الأسابيع الأولى من الحرب كارثية فعلى الرغم من أن أعداد القوات الروسية فاقت بكثير أعداد النازيين إلا أن حُسن تنظيم الجيش الألمانى واعتمادهم على عنصر المفاجأة جعلهم يتفوقون على الجيش الأحمر. واستطاعت القوات النازية تحطيم عدد كبير من الطائرات السوفيتية وهى لا تزال على الأرض .

وفى صباح يوم الأحد 22 يونية ، قام النازيون بأسر وقتل ما يزيد عن ثلاثة ملايين من الروس ، وقد اعتبر هتلر أن ذلك الانتصار يعد أكبر انتصار حربى فى التاريخ .



• المشانق الجماعية :



وفى أعقاب قوات الجيش النازية والتى استمرت فى التقدم داخل روسيا جاءت قوات نازية أخرى بقيادة "هينتس هيملر" وكانت مكلفة بالقيام بعملية تطهير للبلاد من كل من لا يرغب فى وجودهم خاصة اليهود ، والشيوعيين ، وكل المعارضين .

ومن خلال هذه الحملة قامت القوات النازية بإعداد مشانق جماعية علنية لكل المنبوذين .

ومع الوقت ، نجحت القوات النازية فى التقدم نحو العاصمة موسكو ، ولم يبق أمامها سوى 15 ميلاً للوصول إلى الكرملين ، وكان ذلك فى 28 نوفمبر 1941 .

وقد خسرت القوات النازية فى البداية أعدادًا كبيرة من الجنود ،لكنها استطاعت السيطرة على مجريات الأمور فيما بعد وقامت بأسر واعتقال عدد مهول من الجنود الروس ، والذين تعرضوا لأعمال التعذيب والعنف خاصة بعدما رفض ستالين توقيع معاهدة جنيف . ومع حلول شهر ديسمبر بلغ عدد الأسرى والمسجونين من السوفيت 4 ملايين جندى وضابط !

• صمود مدينة لينينجراد :

وبعد مرور بضعة أشهر ، بدأت القوات النازية فى التقدم ناحية لينبجراد (العاصمة القديمة لروسيا) وكان لديهم أوامر بتدميرها تدميرا كاملا بسبب كراهية هتلر لتلك المدينة بالتحديد والتى كانت تمثل فى الماضى مولدًا للبلشفية والشيوعية .

وقد اضطر حاكم المدينة "اندرى زادانوف" وبأوامر من ستالين إلى



منع جميع السكان البالغ عددهم ثلاثة ملايين من الهروب من المدينة والبقاء بها لمقاومة النازيين .

وقد اضطر السكان للذهاب إلى أعمالهم فى الصباح والقيام بحفر الخنادق والأنشطة الدفاعية فى فترة المساء وقد استطاع سكان لينجراد الصمود أمام النازيين بكل بسالة وتصميم على الانتصار ، ولذا فإن عملية الاستيلاء على لينجراد كانت أصعب مهمة واجهتها القوات النازية حيث استمر حصار المدينة ابتداء من سبتمبر 1941م وحتى يناير 1944م دون أن تستطيع القوات النازية اقتحامها والاستيلاء عليها .

ولكن بسبب ظروف البرد القارس ونفاذ الغذاء هلك الكثيرون من سكان المدينة فمات منهم حوالى 630 ألف مواطن ، بينما قتل نحو 200 ألف قتيل ، كما تعرضت أجزاء واسعة من المدينة للتدمير والتخريب .

• الوصول إلى ستالينجراد :

وتوجهت بعد ذلك جهود هتلر للاستيلاء على آبار البترول فى القوقاز، بالإضافة لتدمير مدينة ستالينجراد والتى تحمل اسم ستالين .. عدوه اللدود. كان الاسم السابق لتلك المدينة هو "تزاريتسين" وهى مدينة صناعية صغيرة كان يقطنها حوالى نصف مليون نسمة ، وقد اكتسبت هذا الاسم الجديد "ستالينجراد" فى سنة 1924م بعد وفاة لينين . وقد استطاع قائد الجيش الأحمر فى ستالينجراد الجنرال "فاسيلى تشويكوف" التصدى للنازية بحزم بفضل حسن تنظيمه للجيوش واستبسال رجال ستالينجراد ، وبحلول أول فبراير 1943م ، وصل عدد القتلى من الألمان 200 ألف قتيل ، بينما أسر منهم 9 آلاف جندى . واعتبرت روسيا أنها حققت بذلك واحدًا من أكبر انتصاراتها الحربية .

• - خسائر الروس الفادحة :

لقد أعطى ستالين أوامره بأن أى جندى روسى يتراجع أو يترك موقعه دون أوامر بذلك سوف يقتل بالرصاص فورًا . وأمر قادته بإشعال ألسنة نارية حول أرض المعركة لتأمين عدم الانسحاب !

وعلى جانب آخر ، ومع تقدم النازيين نحو المدن السوفيتية أمر ستالين بتدمير البنية التحتية ومخازن الغذاء منفذًا سياسة الأرض المحروقة والتى سبق استخدامها مع نابليون عند غزوه روسيا لإعاقة الغزو الألمانى وحتى لا تتمكن القوات الألمانية من الحصول على الغذاء . لكن ذلك وضع الروس أنفسهم فى مأزق خطير وجعلهم فى حالة مجاعة قاتلة !

وكانت خسائر روسيا فى تلك الحرب فادحة . وكان من الأسباب الأخرى لذلك نقص حماس الكثيرين من القادة الروس الذين كانوا يكرهون ستالين ، فضلاً عن قيام نحو 4 ملايين روسى من الجنود الفلاحين الذين سخطوا على نظام ستالين بتسليم أنفسهم إلى النازيين !

ولكن على الرغم من ذلك فقد تحقق الانتصار للروس : فمع حلول الشتاء القارس شديد البرودة لم يحتمل الجنود الألمان البقاء طويلا فمات منهم أعداد كبيرة وانسحب الباقون خاسرين .. وهو يشبه ما حدث منذ نحو مائة وثلاثين عامًا عندما غزا نابليون موسكو وردَّه عن الاستيلاء عليها برد الشتاء القارس.

واستطاعت القوات الروسية أن تشق طريقها إلى برلين لكن ثمن ذلك كان غاليًا .. حيث سقط أعداد أخرى هائلة من القتلى والجنود السوفيت .

• خسائر الحرب :

وخلال الفترة ما بين 1941م – 1945م قتل من السوفيت نحو 25 مليون إنسان . وقدر عدد الضحايا من المدنيين والعسكريين فى حصار ستالينجراد وحدها بعدد فاق مجموعة ضحايا بريطانيا وفرنسا وأمريكا خلال الحرب العالمية الثانية !

كما دمرت نحو 1700بلدة و70000 قرية ، فضلاً عن تخريب المصانع والسكك الحديدية والحقول .

وفى عام 1945م ، كان القطاعان الزراعى والصناعى المنتجان للبضائع الاستهلاكية يعملان بمقدار 60 % فقط من طاقتهما بالنسبة لعام 1940م .

• بطل على دماء وأشلاء الجنود الضحايا !

على الرغم من الأعداد الهائلة من القتلى بين الجنود الروس الذين خلفتهم الحرب ، فقد خرج ستالين من الحرب محاطًا بهالة ضخمة من التقدير ، وصار بطلاً قوميًا بعد ما حققه من انتصارات فى مجال السياسة العالمية !

• نشر الشيوعية بعد الحرب :

روسيا .. والأسرى الألمان :

سعت روسيا لتحويل أسرى الحرب من النازيين إلى شيوعيين للاستفادة بهم فى المستقبل .

وأمر ستالين بتكوين لجنة خاصة لهذا الغرض فى سنة 1943م عرفت باسم "لجنة ألمانيا الحرة القومية" تولى رئاستها القائد الألمانى ولتر فون



سدلتر والذى أُسر فى ستالينجراد . وقد انضم إلى تلك اللجنة عدد كبير من الأسرى الألمان وأيضًا من الألمان الأحرار والاشتراكيين .

وأخذت اللجنة فى تلقينهم دروسًا عن الشيوعية ، وتوسعت اللجنة فى أنشطتها لضم أعضاء جدد من شرق أوربا .

وأمام ذلك الوضع شعرت كل من أمريكا وإنجلترا بالقلق من انتشار الشيوعية من خلال تلك اللجنة التى كونها ستالين .

وفى مؤتمر "يالتا" تعهد ستالين أمام الضغط الأمريكى الإنجليزى بتقليص دور تلك اللجنة .. لكن ذلك فى الحقيقة لم يحدث ! فقد كانت لجنة ألمانيا الحرة تعبِّر فى الحقيقة عن الخطة التى أعدها الشيوعيون لضم ألمانيا إلى الاتحاد السوفيتى وإخضاعها للشيوعية . وقد نجح بالفعل الاتحاد السوفيتى بعد الحرب فى فرض سيطرته على ألمانيا الشرقية وجعلها منطقة من مناطق نفوذ الشيوعية .







جواسيس الحرب العالمية الثانية



• النشاط التجسسى السوفيتى :

وقد شهدت فترة الحرب وما قبلها نشاطًا مكثفًا للمخابرات السوفيتية، فقد كان موقف الاتحاد السوفيتى غاية فى الحرج والاستفزاز بعدما أعلن هتلر عن نواياه فى تكوين إمبراطورية تضم دول أوربا الشرقية ويستثنى منها الجنسان اليهودى والسلافي الضعيف . وفى الوقت نفسه أصبح الاتحاد السوفيتى في حالة خوف من تفاقم الوضع من جهة الشرق كذلك بعدما أصبحت الإمبراطورية اليابانية تمثل مركز قوة يُعمل له حساب .

ولذا فقد عمل ستالين على إحداث تغييرات واسعة فى جهازه الدبلوماسى والى تعزيز فعالية نشاط جهازه الاستخبارى . وكان من البديهى أيضًا أن تتركز أغلب الأنشطة الاستخبارية والتجسسية فى ألمانيا وطوكيو .

• قصة جاسوس :

ريتشارد سورج .. أبرع جواسيس ستالين !

وقد ظهر خلال فترة الحرب العالمية الثانية مجموعة هائلة من الجواسيس والعملاء الذين أفادوا الاتحاد السوفيتى بمعلومات قيمة عن نوايا هتلر وأسراره العسكرية وعن موقف طوكيو ودرجة استعدادها للحرب .

ومما لا شك فيه أن أبرع أولئك الجواسيس كان ريتشارد سورج .



والذى كافأه الاتحاد السوفيتى بإصدار طابع تذكارى يحمل صورته لما قدمه من خدمات جليلة للبلاد .



ريتشارد سورج

بدأ سورج نشاطه التجسسى فى عام 1935م واستمر لفترة طويلة بعيدًا عن أعين رجال مكافحة التجسس بفضل دهائه الواضح وذكائه الاجتماعى ، واتصاله بشخصيات سياسية بارزة سهلت له الطريق للحصول على ما أراد من معلومات دون أن تدرى بحقيقة نواياه التجسسية .

لقد استطاع سورج الألمانى الجنسية أن يكسب ثقة من حوله ، فعندما عمل بالصحافة حققت مقالاته شهرة كبيرة وكان القادة الألمان يتابعون تلك المقالات المناهضة للشيوعية باهتمام بالغ .

ومن ناحية أخرى ، استطاع سورج أن يوطد علاقته بمجموعة بارزة من الشخصيات السياسية ، بفضل شخصيته الاجتماعية الجذابة ، ولعل أبرزها صديقه "أوجين أوت" الذى عمل سفيرًا لألمانيا فى طوكيو . وقد ساعده ذلك بالطبع فى الحصول على المعلومات السرية التى سعى إليها الاتحاد السوفيتى، وكانت أغلب هذه المعلومات مأخوذة من خلال التجسس على أعمال السفارة الألمانية فى طوكيو .

كما ساعد سورج على نجاحه فى أنشطته التجسسية بالإضافة لما سبق إتقانه لعدة لغات أجنبية ، فبالإضافة للغة الألمانية وهى لغته الأصلية أجاد كذلك اللغة الإنجليزية والروسية والفرنسية واليابانية والصينية . وبالإضافة إلى ذلك فإن سورج كان جاسوسًا مثقفًا للغاية واسع الاطلاع وحاصلاً على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة برلين .

وكما نقول دائما إن وراء كل جاسوس أزمة أو عقدة نفسية جعلته يسلك هذا الطريق ، فإن سورج يعد كذلك واحدًا من هؤلاء الجواسيس الذين مروا بظروف غاية فى القسوة .

لقد عاش سورج فى ألمانيا فترة شبابه فى ظل ظروف اقتصادية سيئة للغاية بعدما قضت الحرب العالمية الأولى على اقتصاد البلاد . وعانى من البطالة والفقر والتشرد وعندما قرأ كتابات ستالين ولينين أغرته الشيوعية بمبادئها الخداعة التى تنادى بتوفير لقمة العيش للجميع والمساواة فيما بينهم وظن أنه الطريق الذى سييسر له الحياة وهو لا يعلم أنه الطريق الذى سيدمر حياته !

وأحس سورج بالكره الشديد لبلده ألمانيا ولنظامها السياسى بينما انجذب بكل جوارحه للشيوعية . فبعدما تخرج فى الجامعة التحق بالحزب الشيوعى الألمانى . وكان بين وقت وآخر يلتقى سرًا بالفلاحين وعمال المناجم ليلقنهم مبادئ الشيوعية التى ادعى أنها هى السبيل لإنقاذهم وتوفير لقمة العيش الكريمة لهم .

وفى داخل الحزب الشيوعى الألمانى تم تجنيده للعمل بجهاز المخابرات السوفيتى بعدما شد انتباه بعض رؤساء الحزب بشخصيته اللبقة الجذابه وحماسه المتدفق لمبادئ الشيوعية .

ولهذا الغرض ، مر سورج بعدة اختبارات أثبتت فى النهاية صلاحيته بجدارة للعمل بجهاز المخابرات السوفيتى .

وتركز نشاط سورج فى التجسس على السفارة الألمانية فى طوكيو وكان يقوم بإرسال ما لديه من معلومات إلى وكلاء المخابرات السوفيتية عن طريق أجهزة إرسال دقيقة وبالاستعانة بشفرة سرية .

وكان من أهم المعلومات التى نقلها سورج للسوفيت ما تعلق بمدى إمكانية ألمانيا وطوكيو على الاستمرار فى الحرب ونواياهما بالنسبة للاتحاد السوفيتى . وقد تضمنت تلك المعلومات وصفًا دقيقًا لأعداد وأنواع القطع الحربية التى يمتلكها الطرفان ووصفًا للحالة الاقتصادية والروح المعنوية للشعب فى اليابان وألمانيا .

ومن أخطر المعلومات الحربية التى نقلها سورج للسوفيت تلك التى تعلقت بالقاعدة البحرية الأمريكية فى خليج "بيرل" فى المحيط الهادئ والميعاد الذى حددته اليابان لمهاجمة تلك القاعدة .

ولا يُنسى كذلك دور سورج الواضح فى الانتصار الذى أحرزه الاتحاد السوفيتى على الجيش الألمانى فى معركة ستالينجراد فقد استطاع أن يدعم السوفيت بمعلومات حربية فى غاية الأهمية عن تحركات الألمان وخططهم الحربية، كما أمدهم بسر خطير وهو أن اليابان ليس لديها نية في الهجوم على الاتحاد السوفيتي من جهة الشرق لأنهم يركزون جهودهم على معاركهم مع أمريكا وبريطانيا في آسيا وعبر المحيط الهادي، مما جعل السوفيت يقومون بنقل حوالى مليونين من جنودهم من حدود سيبريا الشرقية والجنوبية إلى ميدان القتال فحالوا دون سقوط العاصمة السوفيتية فى أيدى القوات الألمانية، ثم هزيمتها فى كل المعارك التالية .

كما استطاع سورج أن ينقل كثيرًا مما دار من محادثات بين الألمان واليابانيين بشأن عقد اتفاقية عسكرية بينهما ، ورغبة ألمانيا فى عقد تحالف مع اليابان ضد الاتحاد السوفيتى . كما استطاع إعداد تقارير هامة عن الصين ومنشوريا واليابان ، وبرنامج إعادة بناء الأسطول اليابانى والتصميمات الحديثة للدبابات وتشكيلات الطائرات الحربية الجديدة. بل تضمنت بعض التقارير موعد هجوم ألمانيا على أراضى روسيا والذى كان محددًا فى شهر يونية سنة 1941 م.

والحقيقة أن اكتشاف حقيقة سورج كعميل سوفيتى لم يتم بسبب خطأ ارتكبه سورج شخصيًا ، وإنما بسبب خطأ من جانب أفراد شبكته حيث استطاع رجال المخابرات اليابانية التقاط بعض الإشارات اللاسلكية الواضحة التى كانت موجهة للسوفيت .

ومن خلال عملية التحقيقات الواسعة أمكن التعرف على باقى أفراد الشبكة الذين عملوا تحت رئاسة سورج .

وقضى سورج فى السجن ثلاث سنوات ، ثم نُفِّذ فيه بعد ذلك حكم الإعدام .





روسيا ما بين مرارة الشيوعية وخراب الحرب



• القائد المنتصر والشعب البائس :

بعد انتهاء الحرب ، بدأت صحة ستالين تتدهور تدريجيًا ، وقل ظهوره على الساحة ، وزادت فترات راحته واستجمامه . ولكن لاشك أن خروجه منتصرًا من تلك الحرب المريرة زاد من غطرسته وهيمنته .

أما الشعب الروسى فقد عاش فى الحقيقة فترة قاسية مريرة خلال الأربعينيات بسبب التدهور الحاد الذى أحل بالبلاد بسبب ويلات الحرب ، وأيضًا بسبب استمرار الديكتاتورية الستالينية .

ففى أعقاب الحرب ، تدهور الاقتصاد السوفيتى بدرجة كبيرة، وضعف إنتاج المزارع الجماعية بصورة حادة ، وانتشرت المجاعات ، وارتفعت أسعار الغذاء حتى وصل سعر رغيف الخبز إلى ثلاثة أضعاف سعره قبل الحرب .



نيكيتا خروشوف

وكانت أوكرانيا من أكثر المناطق التى عانت من الفقر والمجاعات مما اضطر "نيكيتا خروشوف" والذى كان يشغل منصب رئيس الجزب الشيوعى فى أوكرانيا إلى طلب المساعدة من ستالين . والذى رد عليه ردا ساخرا حيث وصفه

بقلة الهيبة أمام الشعب الأوكرانى وتصديقه لادعاءاتهم الكاذبة عن نقص الغذاء !

ولم تكن الحياة فى المدن الكبيرة أفضل فقد عانى سكان المدن الكبيرة أيضًا من نقص الغذاء ، وارتفاع الاسعار ، وعاش الكثيرون منهم فى شقق مشتركة بسبب تهدم المساكن وارتفاع أسعار المنازل .

وبعد الحرب ، زاد كبت الحريات ، وصارت الحركات الثقافية والعلمية والفنية تهدف إلى تعزيز مكانة ستالين .. الزعيم المنتصر .

ففى الجامعات ، تم تغيير المقرارات الدراسية بما يتفق مع الاتجاه الشيوعى. وقام بإعداد مواد علم البيولوجى أحد الأساتذة المضللين والمقربين إلى ستالين وهو "تروفيم ليزنكو" . وقام "أندرى زادانوف" ، وهو أحد أقطاب الشيوعية والذى أدار لينينجراد أثناء الحرب ، بمصادرة العديد من أعمال الكتّاب والفنانين وتقييد حركة العلماء .. فقام باعتقال الشاعرة "انا اخماتوفا" بسبب إصدار ديوان شعر به قصائد حب !! .. لأن ستالين يريد أن يختصه الفنانون وحده بمشاعر الحب والتقدير !



شوستاكوفيتش

واعتقل كذلك الكاتب "ميخائيل زوتششنكو" بسبب كتابة قصة رمزت فى مضمونها إلى استبداد الشيوعية . كما اتهم الموسيقيين "شوستاكوفيتش" و"بروكوفييف" بتأليف مقطوعات موسيقية تطرب العمال وتجعلهم يدندنون بها !

أما الشاعر "بوريس باسترناك" والذى كتب القصة الشهيرة "دكتور زيفاجو" فقد منعته السلطة من نشر تلك الرواية بسبب انتقادها للشيوعية . لكن

"زادانوف" لم يعش طويلا ومات فجأة فى سنة 1948م ، مما خفف من تقييد الحريات .

• ستالين يروِّج لنفسه بعد الحرب :

وخلال فترة ما بعد الحرب جعل ساتلين نفسه بمثابة القائد العظيم المنتصر على الألمان . وصدرت آلاف المطبوعات الكبيرة التى حملت صوره وروجت له ، وربما اعتبره كثير من أهل الغرب كذلك ، فقد تأخَّر معرفة العالم بما ارتكبه من بشاعات فى حق شعبه إلى ما بعد وفاته .. حيث بدات تتكشف للعالم حركات التطهير التى قام بها ومعسكرات الاعتقال التى أعدها للمعارضين وعمليات النفى والتعذيب فى سيبريا .

وقام مساعدوه بعد وفاته : "مالينكوف" و"بولجانين" و"خروشوف" بنشر فضائح العصر الستالينى على العالم .

كما ظهرت بعد وفاته العديد من المقابر الجماعية التى أعدها لمعارضيه.

وعلى الرغم مما كانت تحمله المطبوعات التى ظهرت بعد الحرب من صورة لستالين بابتسامة ودودة إلا أنها كانت تخفى وراءها نزعته للقهر والقتل والتى استمرت خلال فترة ما بعد الحرب !

• ستالين يحتفل بعيد ميلاده :

وبحلول عام 1949م ، احتفل ستالين بعيد ميلاده السبعين ، وكان احتفالاً مشهودًا .

ففى ذلك اليوم امتلأت الشوارع والميادين بصور ستالين ، وانطلقت مجموعة من البالونات فى السماء تحمل صور ستالين ، وأقيمت احتفالات فى الميادين .

أما ستالين فقضى ليلة الاحتفال فى مسرح البولشوى وقد حضرها الزعيم الصينى ماوتسى - تونج والذى جلس على الجهة اليمنى من ستالين ، بينما جلس نيكيتا خروشوف على جانبه الأيسر ، والذى ترأس فى ذلك الوقت إدارة الحزب الشيوعى فى موسكو . وصدرت فى ذلك اليوم جريدة برافدا بعدد 12 صفحة بدلاً من عدد أربع صفحات كالمعتاد حتى تتسع لمقالات المدح فى ستالين والدعاية لعيد ميلاده .



مسرح البولشوى

وفى ذلك اليوم امتلأ الميدان الأحمر بالناس بينما عُلقت لوحة كبيرة لوجه ستالين تجاه السماء وأضيئت بالأنوار الساطعة .





ظهور الكتلة الشيوعية



• المنطقة العازلة :

كان الهجوم الألمانى غير المتوقع على الاتحاد السوفيتى بمثابة صدمة مؤلمة لستالين . ولذا فإنه بعد الحرب عمل على إعادة تشكيل استراتيجيات المنطقة .

فعَمِلَ على نشر الشيوعية خارج الاتحاد السوفيتى ، ودفع بقواته للاستيلاء على أوربا الشرقية وإقامة حكومات شيوعية موالية وعميلة ببلدانها لتمثل تلك المنطقة التى سميت بالكتلة الشيوعية منطقة عازلة مخففة للصدمات وواقية للروس من غدر الألمان والغرب.

وقامت القوات السوفيتية فى الفترة ما بين 1945م – 1948م بفرض سيطرتها على شعوب رومانيا ، وبلغاريا ، وبولندا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا، ويوغسلافيا ، والنصف الشرقى من ألمانيا .

وبذلك خضع نحو مائة مليون أوربى هم سكان تلك المنطقة لنظام شبيه بنظام الحكم الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى أطلق عليه الديمقراطية الشعبية .

• التدخل السوفيتى فى شئون أوربا الشرقية :

وكان التدخل السوفيتى فى شئون أوربا الشرقية معتمدًا على التدخل السياسى والمدعوم بالتهديد بالقوة العسكرية والتدخل الاقتصادى .



ففى ألمانيا الشرقية كان التدخل السياسى المدعوم بالقوة العسكرية واضحًا ، وتدخلت السياسة السوفيتية فى تشكيل حكومات الأقاليم ، وسلطة القطاعات ، حتى صارت ألمانيا الشرقية كجزء لا يتجزأ عن الاتحاد السوفيتى.

وفى تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا والمجر استطاع السوفيت بفضل وجود القوات السوفيتية فى عام 1945م من الاستيلاء على مناصب هامة فى الحكومة وجهاز الشرطة . ولكن انسحاب الوحدات السوفيتية فى شهر ديسمبر من نفس العام أزال المصدر الرئيسى للتخويف والإرهاب .

وفى بولندا كان التدخل السوفيتى مباشرًا قويًا حيث تم تعيين الماريشال السوفيتى روكوسوفسكى قائدًا عامًا للجيش البولندى فى عام 1949 .

وفى رومانيا تم تعيين السوفيتى "جروزا" رئيسًا للوزراء فى حين أرغم الملك ميشيل على قبول ذلك .

أما على الجانب الاقتصادى ، فقد أنشئت فى تلك البلاد كيانات اقتصادية روسية كان لها حصة مساوية لحصة حكومة البلد نفسها وكانت خاضعة لرقابة موسكو .

واحتكرت الشركات الروسية بعض موارد البلاد كالبترول والخشب فى رومانيا والبوكسيت فى المجر ومناجم اليورانيوم فى تشيكوسلوفاكيا .

وفى مجال الزراعة سيطر السوفيت كذلك على عملية الإصلاح الزراعى كما حدث فى المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا .

• نشوء الحرب الباردة :

وكان لذلك الامتداد الشيوعى تأثيرات عالمية . فقد رأى بعض زعماء الغرب أن انتشار الشيوعية فى شرق أوربا هو مجرد تمهيد من الاتحاد السوفيتى لنشرها على مستوى العالم .

وفى الحقيقة أن ذلك المخطط دعا إليه تروتسكى من قبل والذى دعا لما يسمى "بالثورة الدائمة" .. أما ستالين فلم يرد فى الحقيقة من ذلك سوى الحفاظ على سيطرته وزعامته للاتحاد السوفيتى بإيجاد تلك الجبهة العازلة.

وبسبب ذلك التخوف من الجانب الغربى نشأت "حرب باردة" بين الطرفين شابها كثير من التوترات على مدى فترة طويلة من الزمن وانتشرت أعمال التجسس بين الكتلتين الشرقية والغربية .

• حرب الجواسيس :

إنه على الرغم من انتهاء الحرب العالمية الثانية فى 14 أغسطس 1945م، إلا أن الوئام لم يعد بعد لأكبر قوتين متنافستين فى العالم ، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى حيث نشبت واشتعلت بينهما منذ ذلك الوقت حرب باردة دارت فى الخفاء ، إنها حرب الجاسوسية ، والتى لعبت فيها كل من وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) ووكالة المخابرات السوفيتية (KGB) دورًا بارزًا لأجل الحصول على أكبر قدر من المعلومات الحربية والاقتصادية المهمة عن الطرف الآخر ، ومدى استعداده وتأهله لخوض حروب جديدة .

وقد شهدت سنة 1947م ، أكبر تصعيد للاستخبارات الأمريكية والسوفيتية، ففى تلك السنة تأسست وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) وكانت تمثل جهاز مخابرات جديد وحديث ليحل محل الجهاز السابق (CIG) وترأس هذا الجهاز رجل عرف بالدهاء والخبرة فى مجال البحث والاستخبار وهو "ادميرال روسكوى هلينكويتر" والذى عمل لسنوات طويلة فى جهاز المخابرات البحرية واستطاع إنشاء شبكة مخابرات بحرية على مستوى المحيط الهادى.

وكان من الطبيعى أمام هذه الخطوة أن يعيد الاتحاد السوفيتى تنظيم جهاز مخابراته ليظهر فى ثوب جديد .. واكتسب اسم (KGB) . كما تم إنشاء ما يسمى بوكالة المعلومات (KI) والتى كانت تضم وحدات استخبارات أجنبية بالإضافة إلى المخابرات الحربية .

وقد ترأس هذه الوكالة "مولتوف" وكانت تحت إشراف مجلس الوزراء السوفيتى .

أما رئيس جهاز المخابرات السوفيتية فى تلك الفترة فقد كان الجنرال "إيفان سيرفو" والذى كان يعمل من قبل كرئيس لفرع المخابرات فى أوكرانيا .





ستالين ينشر فساده وأفكاره الشيوعية المسمومة حول العالم !



• منظمة الكومنترن :

نشر الأفكار الشيوعية كان من أهم أهداف لينين ،كما دعا لذلك تروتسكى من خلال استخدامه لمصطلح "الثورة الدائمة" فى كتاباته وخُطبه .

وفى سنة 1919 م، أنشأ لينين منظمة لنشر الشيوعية حول العالم أُطلق عليها اسم "الكومنترن" ومعناها : الشيوعية الدولية .

وكانت تلك المنظمة تتكون من أعضاء يدعمون إنشاء أحزاب شيوعية فى دول مختلفة من أوربا والشرق الأوسط . وكانوا يجتمعون فى مقر المنظمة ويقدمون تقريرًا لرجال الكرملين عن نشاط حركتهم ويتلقون منهم المعلومات والأوامر التى تحدد أعمالهم والتى تسترشد بها الأحزاب الشيوعية فى عملها ودعوتها .

وكان لابد لنجاح تلك المنظمة فى نشر دعوتها من إثارة الفتن والتحريض على نظام الحكم فى الدول المختلفة . وكانت تمد الثوار المتمردين بالنشرات المغرضة وبالمال والسلاح .

وقد نجحت بالفعل فى إشعال عدة ثورات بدول مختلفة كالمجر ، وألمانيا ، وإيطاليا ، ولكن تلك الدول استطاعت القضاء عليها .

وفى المؤتمر الثانى للكومنترن الذى انعقد فى موسكو تم تحديد 21 مبدأ شيوعيا للعمل به فى نشر الشيوعية الدولية من خلال ممثلى الأحزاب الشيوعية فى الدول المختلفة .

وفى كتابه "العلم الأحمر" ذكر الأستاذ جورج عزيز مجموعة من هذه المبادئ ، وهى :

- على جميع الأحزاب التى تنضم إلى الكومنترن أن تكافح بإصرار كل إصلاح، والاتجاهات المعتدلة ، والدعوة للسلام ، وأن تقصى عن عضويتها كل شخص له آراء من هذا القبيل ، وأن تقطع أى صلة بأية جماعة كهذه .
- لا يعترض الشيوعيون ، من حيث المبدأ ، على الإصلاحات ، ولكنهم يعدونها فرصا للحصول على مغانم سياسية .. و(المصلحون) فى رأى الشيوعيين هم الذين لا يعدون الإصلاحات وسائل بل غايات ، ويرضون بامتيازات يظفرون بها ، من وقت إلى آخر ، من الطبقة الحاكمة ، ويؤكد الثوريون أن الإصلاحات لا يمكن أن تكون إلا إجراءات مسكنة ملطفة ، وأن العنف الثورى هو وحده الذى يكفل مصالح العمال .
- على الشيوعيين أن ينشئوا خلايا فى قلب النقابات العالمية ببلادهم حتى يتسنى لهم أن يستولوا عليها من الداخل ، ويجب على الشيوعيين أن يكافحوا زعامات النقابات ، وأن يقوموا بحركات لحمل النقابات على الانضمام إلى الاتحاد (الأحمر) الجديد للنقابات العمالية ومركزه فى موسكو.
- على الشيوعيين أن يقوموا بالدعاية فى صفوف القوات المسلحة فى بلادهم، وأن يلجأوا إلى الوسائل السرية وغير المشروعة عند الاقتضاء .

- وعلى الشيوعيين أن يؤيدوا بالقول تحرير الشعوب المستعمرة والقوميات الراسفة فى الأغلال وعليهم أن ينموا فى نفوس عمالهم الشعور الأخوى نحو المستعمرات ، وعمال القوميات المضطهدة ، وعليهم أن يقوموا بين صفوف القوات المسلحة فى بلادهم بحركات ضد اضطهاد الشعوب المستعمرة .

- وفى كل بلد يسمح فيها القانون للحزب الشيوعى بأن يعمل شرعيًا ينبغى له. أى للحزب الشيوعى – أن ينشئ فى الوقت نفسه ، منظمة سرية تستطيع ، إذا حلت اللحظة الحاسمة ، أن تؤدى واجبها نحو الثورة .

- وفى البلاد ذات النظم البرلمانية يجب على الجماعات الشيوعية البرلمانية أن تكون خاضعة خضوعًا تامًا للجنة المركزية للحزب ، ويجب على هذه اللجنة أن تصدر إليهم توجيهات دقيقة سليمة عن الكيفية التى ينبغى أن يسلكوا بها فى البرلمان .

- وعلى الأحزاب الشيوعية أن تؤيد ، دون تحفظ ، جميع الجمهوريات السوفيتية فى نضالها ضد الحركات المعادية للثورة ، وأن تلح على العمال فى أن يرفضوا نقل الأسلحة أو العتاد إلى أعداء أية جمهورية سوفيتية ، وأن يجدوا فى الدعاية ، بالوسائل الشرعية وغير الشرعية ، فى صفوف الجنود الذين يرسلون للقتال ضد أية جمهورية سوفيتية .

- ويجب أن تكون الأحزاب الشيوعية قائمة على مبدأ "الديمقراطية المركزية" وهو المبدأ الذى استند إليه الحزب البلشفى منذ إنشائه . وعليها أن تقوم من وقت لآخر بتطهير منظماتها لتخرج منها العناصر البرجوازية المنحلة ، والعناصر التى تعمل لمصالحها الخاصة.

- وجميع قرارات مؤتمر الكومنترن تكون ملزمة لجميع الأحزاب المشتركة فيه .

وقد نجحت منظمة الكومنترن بالفعل فى جذب أعداد كبيرة من الذين خدعتهم المبادئ الشيوعية فى دول مختلفة ، كما نجحت فى تحقيق مخططها القائم على إثارة الفتن وإشعال الثورات فى العديد من الدول الأوربية مثل ، إيطاليا ، يوغوسلافيا ، ألمانيا ، بلغاريا ، ورومانيا .

ففى يوغسلافيا استطاع الشيوعيون أن يفوزوا بعدة مقاعد فى انتخابات الجمعية التأسيسية وفى بلغاريا حدث إضراب بين عمال السكك الحديدية بهدف إنصاف الطبقة العمالية .. وفى إيطاليا ، عقد الحزب الاشتراكى مؤتمره فى بولونيا وأعلن رسميًا إيمانه بالحكومة السوفيتية وانضمامه إلى الكومنترن .

• منظمة جديدة للشيوعية الدولية :

منظمة الكومينفورم :

وظلت الشيوعية تنشر آثامها وفتنتها فى كثير من دول العالم لسنوات طويلة من خلال منظمة الكومنترن التى أسسها لينين فى 1919م .

ولكن مع بدء وقوع الحرب العالمية الثانية رأى ستالين أن منظمة الكومنترن لم تعد تتلاءم مع الظروف الراهنة ، ولذا أمر بحلها وإنهاء نشاطها وكانت تلك الخطوة الإيجابية كفيلة بإعادة العلاقات السياسية بين روسيا وبعض الدول الأخرى التى قطعت علاقتها معها بسبب تدخل الشيوعية فى سياسة هذه الدول .. وكانت مصر واحدة من تلك الدول .

ولكن اتضح للمجتمع الدولى فيما بعد ان تلك كانت مرحلة مؤقتة، فما كادت الحرب العالمية تنتهى حتى أعاد ستالين تكوين منظمة جديدة للشيوعية الدولية عرفت باسم الكومينفورم .. وكانت رسالتها تهدف إلى تأييد سياسة روسيا الشيوعية فى الدول المختلفة وتنشئة الشباب والطلائع على الأفكار الشيوعية ، وذلك استعدادًا لقيام ستالين بحرب عالمية كبرى وتكوين إمبراطورية شيوعية عالمية !

وقد اعتمدت تلك المنظمة على الادعاءات الكاذبة وإثارة الفتن والتحدث بلسان يخالف نوايا الشيوعية الحقيقية . واستخدمت الشباب فى دول مختلفة كدعاة لها بعدما غررت بهم وحفزتهم على الإيمان بالشيوعية واعتبارها المخرج الأساسى من ظلم الطبقات الرأسمالية وكانت ترسم فى أذهانهم صورًا نموذجية مقدسة عن الحكم الشيوعى والزعيم ستالين .

ونجح أعضاء تلك المنظمة فى نشر الفتن بين المجتمعات وإشعال ثورات أهلية فى دول مختلفة . ففى اليونان ، على سبيل المثال ، قام الشباب الشيوعى بثورة ضد الحكومة وتحولت إلى ثورة أهلية .

وتكرر المشهد فى دول أخرى كثيرة مثل رومانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبلغاريا. وكانت تلك المنظمة تتلقى أوامرها من ستالين وتسعى فى حقيقة الأمر لإحداث ثوارات عالمية كبرى تبدأ من خلالها روسيا فى غزو البلاد وفرض سيطرتها عليها .

وبذلك فإن نشاط ستالين الإرهابى والإجرامى لم يقتصر على روسيا من الداخل ، وإنما امتد كذلك لدول أخرى كثيرة شهدت ثورات وفتنًا وحروبًا من جراء نزعته للسيطرة وفرض النفوذ ونشر الشيوعية الدولية .

وفى كتابه "ثلاث سنوات فى موسكو" ترجمة الأستاذ محمد المعلم يذكر ولتر بيدل سميث سفير أمريكا السابق فى موسكو بعض انطباعاته عن تلك المنظمة الشيوعية ، فيقول : "كان إعلام الكومنفورم ، مثله كمثل سائر جميع الوثائق الشيوعية المماثلة الأخرى ، متسمًا "بالحديث المزدوج" متميزًا بتلك الصفة الروسية الخاصة . التى طالما خبرناها فى السفارة ، والتى تتضمن اتهام الآخرين بعمل ما يعملونه هم أو ما يوشكون أن يعملوه .

فقد اتهمت مشروعات ترومان ومارشال بأنها "ليست إلا خدعة ، أو أنها الفرع الأوربى من مشروع عالمى يهدف إلى التوسع السياسى وتعمل على تحقيقه الولايات المتحدة الأمريكية" ثم عمدت إلى إيضاح فكرة التوسع السياسى المزعوم الذى تضطلع به الولايات المتحدة ، بأن قدمت وصفًا قصيرًا للأمريكيين الاستعماريين لم تنسج الدعاية الروسية الشيوعية من قبل على منواله فى كل ما قرأته عنها ".

ويقول :"حتى الاسم الذى اختير للمنظمة الجديدة (الكومنفورم) قد تعمد الروس أن يكون خداعًا . فهى إذ توصف بأنها مكتب للاستعلامات فإن البيان الذى حدد أغراضها أشار إلى أنها تتضمن "تبادل الخبرة بين الأحزاب، وفى حالة الضرورة تنسيق نشاطها" وكان مما قاله البيان أيضًا: إن افتقار الأحزاب الشيوعية فى ذلك الوقت إلى الروابط التى تجمع بينها "هو عجز خطير فى الموقف الحاضر" .

• الويل لمن يخرج عن الشيوعية !

الأزمة بين ستالين وتيتو :

فى سنة 1948م أصدر أعضاء الكومنفورم قرارًا بفصل تيتو رئيس



يوغسلافيا من الكومنفورم واعتباره خارجًا عن الشيوعية وعدوًا للبروليتاريا.

وقد أثار ذلك القرار دهشة الكثيرين، حيث كان من المعروف أن الرئيس تيتو من أبرز حلفاء الشيوعية وربطته بستالين علاقة قوية!



تيتو رئيس يوغسلافيا

فما السبب وراء ذلك القرار؟

إنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، سعى تيتو لإعادة إعمار يوغسلافيا مرة أخرى بعدما دمرت الحرب كثيرًا من مصانعها وخربت حقولها وصار هناك أعداد كبيرة من العاطلين.

ولجأ تيتو إلى موسكو الأم .. وطلب إمداده بآلات للمصانع ومعدات للإنتاج.. لكن طلبه قوبل بالرفض بادعاء عدم إمكانية توفير تلك الآلات فى الوقت الحالى.

فاتجه تيتو إلى الدول الشيوعية الأخرى فلجأ إلى المجر ورومانيا وبلغاريا.. ولكن تلك الدول لم تقدم له كذلك يد العون.

وأمام ذلك الوضع، اضطر تيتو للجوء إلى دول الغرب لمساعدته،

ووافقت أمريكا وإنجلترا على طلبه ، وعقدت اتفاقيات للتعاون بين يوغسلافيا وبين أمريكا. وبدأ الخبراء الأمريكيون والإنجليز فى التوافد على يوغسلافيا ،ووصلت إلى هناك شحنات من الآلات والمعدات الصناعية الحديثة .

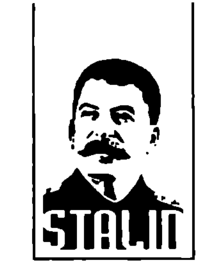
وقد أثار ذلك غضب موسكو واتهمت تيتو بالخيانة ووصفته بعدو الشعب وأرسلت إليه مندوبين لإرشاده ونصحه .. لكنه أبى العدول عن التعاون مع المجتمع الغربى بعدما لم تستجب موسكو لطلبه .

وكانت نتيجة ذلك فصله من الكومنفورم واتهامه بالخيانة . كما بدأت موسكو فى تضييق الخناق عليه ، فحفزت الدول الشيوعية الأخرى على مقاطعة يوغسلافيا، وطرد الرعايا اليوغسلاف من بلادهم .

وحرضت موسكو الشباب الشيوعى فى الدول الأخرى على قتل تيتو .
وحرضت كذلك على محو اسمه من الشوارع والمدن فى البلاد الشيوعية .

ويتضح من ذلك أن سياسة الأحزاب الشيوعية فى الدول المختلفة لا تعمل فى الحقيقة وفق مصلحة البلد وإنما تعمل وفق مصلحة موسكو والتى تعتبر كعبة الشيوعية !





زوجات ستالين .. وارتباطه باليهود



• الزوجة الأولى : كاترين .

تزوج ستالين لأول مرة فى بداية الثلاثينيات من عمره ، وكان لا يزال شابًا مغامرًا ومناضلاً مغمورًا .

وكانت زوجته الأولى هى ايكاترينا سفانيدز (أو كاترين) .. وكانت امرأة متواضعة الجمال قليلة التعليم . وأنجب منها طفلاً وهو "ياشا" والذى صار مهملاً منسيًا ولم يسمع أحد عنه شيئًا حتى بعد وصول أبيه إلى الحكم .

ولم يكن ذلك الزواج موفقًا حيث أن ستالين كان باستمرار مطاردًا من قبل رجال الشرطة بسبب نشاطه الثورى .. وكان يتغيب عن منزله لفترات طويلة.. ذلك فضلاً عن طباعه الحادة ومزاجه العصبى الذى جعل حياته الزوجية غير موفقة .

ولم يستمر ذلك الزواج الذى تم فى سنة 1913م طويلاً ..فبعد مرور أربع سنوات ماتت زوجته كاترين متأثرة بمرض الدرن .

• الزوجة الثانية : ناديا .

وبعد مرور عامين على وفاة زوجته الأولى تزوج ستالين من نادزدا إليليوفا (أو ناديا) وأنجب منها طفلين وهما فاسيلى وسفيتلانا .

والتحق ابنه فاسيلى بعدما كبر بسلاح الطيران . وكان يقود الطائرة فى العروض الحربية التى كان يحضرها ستالين بعدما أصبح زعيمًا .

وكانت علاقة ستالين تزداد سوءًا على مر الأعوام مع زوجته ناديا ، ليس بسبب طباعه الحادة فحسب ، وإنما لأنه قام كذلك ، بعدما برز نجمه داخل الحزب الشيوعى ووصل إلى رئاسة الحزب ، بحركة تطهير واسعة حيث أمر بالتخلص من أغلب رفاق الكفاح والثورة والذين كانوا على علاقة طيبة بزوجته.

ومن ناحية أخرى التقى ستالين أثناء زواجه بناديا بشابة يهودية جميلة وهى روزا كاجانوفيتش .. وصارت عشيقة له .

كل ذلك أدى إلى إصابة زوجته ناديا بحالة من الانهيار العصبى .. ثم توفيت فجأة .. وشاع خبر عن انتحارها !

ولكن فى الحقيقة أن هناك احتمالاً كبيرًا بأن ستالين هو الذى دبّر لقتلها !



ناديا .. الزوجة الثانية لستالين

• ضحية ستالين التى أصابته بالهم والندم !

إن وفاة ناديا ظل أمرًا محاطًا بالغموض والسرية . ولكن ما أحاط به من أمور وملابسات يكشف عن أن ستالين هو القاتل الفعلى لها !

لقد كان والد ناديا من رفاق ستالين فى الكفاح والمناداة بالثورة . وكانت ابنته ناديا شديدة الاعتزاز به وتستشهد من وقت لآخر بأقواله . لكنها فى الحقيقة لم تجد فى شخصية ستالين ما يتوافق مع المبادئ التى كان يدعو لها والتى كان يروِّج لها أبوها . فرأت فيه إنسانًا متوحشًا لا يفكر إلا فى نفسه وفى احتفاظه بصورة الزعيم .

وكانت تعترض بشدة على ما يقوم به البوليس السرى الذى كونه ستالين (الاوجبيو) من بشاعات . وقد أعلنت ذلك أكثر من مرة فى أوساط عامة .

وقبل وفاتها ، اجتمع ستالين مع بعض مستشاريه ، وكان الحوار قائمًا حول بعض السياسات التعسفية والقهرية التى دعا ستالين للأخذ بها .

وقد حضرت زوجته ناديا جزءًا من ذلك الحديث الذى أغضبها وانتقدت سياسة ستالين .

ويذكر أنه عندما رأى ذلك قام بشد زوجته من ملابسها ودفعها فى غضب خارج الحجرة .. ثم عاد لاستكمال حواره .

وبعد تلك الواقعة بأيام قليلة وُجدت ناديا ميتة فى حجرتها .. وكان عمرها وقتذاك 31 عامًا !

وشاعت فى تلك الفترة روايات كثيرة عن سبب موت ناديا المفاجئ ، وبخاصة أنها قد شوهدت قبل يومين من وفاتها فى أحد المسارح وبحالة صحية جيدة ، كما كانت تبدو .

فقيل إن ستالين أرغمها على تناول مشروب ممزوج بالسم !

وقيل إنه أرغمها على الانتحار !

أما ستالين فقد برر سبب وفاتها المفاجئ بإصابتها بالتهاب حاد بالزائدة الدودية ولم يتمكن الأطباء من إسعافها .

وصار من الواضح بعد ذلك أن ستالين قد شعر بالهم والندم بعد فراق زوجته ناديا وكان يُعتقد أنه قد أحبها !

وظل شبحها يطارده لفترة طويلة فأقلق مضجعه . وقد جعله ذلك يزداد تقربًا لعشيقته روزا لعله يجد السلوان !

ومن الطريف أن ستالين – الملحد – قد أصدر أوامره بالصلاة على جثمان ناديا فى الكنيسة .

وحظيت جنازتها بمظاهرة تدل على الاعتزاز الشديد والتكريم .. ودفنت فى موسكو فى مقبرة حملت اسم "العذراء" .. وكتب ستالين هذه الكلمات عليها : "لقد ماتت .. وماتت معها آخر مشاعرى الحارة" !

• الزوجة الثالثة : روزا .

لقد تطورت علاقة ستالين بالشابة اليهودية الجميلة روزا كاجانوفيتش بعد وفاة زوجته ناديا وصارت الزوجة الثالثة له .

ولكن فى الحقيقة أن ذلك الزواج لم يتأكد ولم يعلنه ستالين ، ولذا تساءل كثير من الناس : هل كانت روزا زوجته بالفعل أم عشيقته ؟!

لقد كانت روزا فتاة جميلة ناعمة الصوت وهى شقيقة وزير المواصلات الروسى .. ولم يرها أحد سوى مرة واحدة أثناء افتتاح محطة مترو موسكو حيث جاءت بدعوة من شقيقها . ولم يذكر ستالين أنها زوجته !

وقد عقّب سفير أمريكا السابق فى موسكو عن ذلك بقوله "إن الروس أنفسهم لا يعرفون إذا كان ستالين قد تزوج مرة أخرى بعد وفاة زوجته الثانية فى عام 1932م أم لا" .

ومما أثار كذلك الشك فى حقيقة زواجهما أن ستالين كان يفضل أن يعيش فى قصره بالكرملين بمفرده .. بينما خصص فيلا فاخرة لروزا فى ضواحى موسكو . وكان يتردد عليها من وقت لآخر ، وبخاصة بعدما ينتهى من حضور سهرة ليلية للرقص أو التمثيل .



الكرملين

وكانت روزا تُعد له الطعام والفودكا والسجائر التى كان يفضلها .. على الرغم من أنه كان يميل للظهور أمام الآخرين ممسكًا بالغليون .

وكانت الفيلا محاطة بالحرس والشرطة السرية والذى كانت تتضاعف أعدادهم عند زيارة ستالين لروزا .

• ذكاء روزا ..

لقد كانت روزا زوجة لطيفة خفيفة الظل تميل للدعابة . وقد تلقت

درسًا مؤثرًا من خلال حادثة وفاة زوجة ستالين الثانية ناديا والتى كان يعتقد أن تدخلها فى الأمور السياسية كان سبب مقتلها ! . ولذا فإنها جعلت نفسها بعيدة تمامًا عن المجال السياسى ولم تلجأ لانتقاد سياسة ستالين أو حتى إبداء آراء خاصة حولها .

كما عملت روزا على التقرب والتودد إلى جميع المتصلين بستالين وبابنه فسيلى وابنته سفيتلايا من زوجته السابقة ناديا .

لقد كان ابنه فسيلى عصبيًّا متهورًا إلى حد يشبه أبيه وكان مدمنًا للفودكا بشراهة ، ومحبًا للنساء ، ومتهورًا فى قيادته للسيارات ، وقد ساعدته روزا فى تهذيب سلوكه وعلاج بعض مشاكله الخاصة .

وكانت روزا قريبة إلى نفس ستالين ، وتعتبر من القلائل الذين سمح لهم ستالين بأن تناديه باسم "كوبا" .. هذا الاسم المستعار الذى عُرف به أثناء فترة الكفاح والثورة فى روسيا القيصرية .

• توطد علاقة ستالين باليهود :

إن روزا كانت يهودية .. وعرفت بذكائها ومكرها كيف تكسب ستالين .

وبحدوث هذا الزواج المحتمل بينهما بدأت علاقة ستالين بمجتمع اليهود تتوطد تدريجيًا . فتزوج أخو روزا ويدعى لازار من ابنة ستالين سفيتلانا .

ومن الطريف هنا أن ابنة ستالين كانت متزوجة من رجل آخر ، لكنه اختفى فجأة عن الوجود ، مثلما حدث لزوجة ستالين الثانية ناديا . ويعتقد إلى حد كبير أن ستالين قد دبّر لقتله أيضًا !

ودخل لازار فى مجال السياسة فأصبح عضوًا مهمًا فى المكتب السياسى.

كما تولى الإشراف على بعض المشاريع الصناعية . وبذلك أصبح المال الروسى خاضعًا لتصرفه وأصبح نهبه أمرًا متوقعًا !

ومن ناحية أخرى ، تزوج نائب ستالين مولوتوف من يهودية أيضًا كانت ابنة رجل أعمال أمريكى من أصل يهودى .

وتزوجت ابنة مولتوف فيما بعد من فاسيلى ابن ستالين .

وبذلك أصبح هناك زمرة من اليهود تلعب دورًا فى التأثير على المجال السياسى والاقتصادى فى الاتحاد السوفيتى تحت إشراف ورضا ستالين .

أما اليهودى الأبرز فى تلك الزمرة من اليهود الذين أحاطوا بستالين فكان رئيس جهاز الشرطة السرية بيريا ووزير الداخلية والذى كان بمثابة الذراع اليمنى لستالين فى القضاء على المعارضين والمنشقين .. وهو وحش آدمى تسبب فى قتل وتعذيب الكثيرين إرضاءً لسيده الجلاّد : ستالين .

كما ضم المجلس السوفيتى الأعلى أربعة من اليهود ، وهم رئيس الجلسات شفرنك، وجوركن السكرتير، ونائبا الرئيس: كرشنتاين وفارز.

ومن الطريف أن هناك من يدّعى أن ستالين نفسه كان من أصل يهودى، وقد ذكر "إمان راجوازا" فى كتابه عن حياة ستالين ، أن جدته لأمه كانت يهودية!

• الشيوعية والصهيونية :

والحقيقة أن العلاقة بين الشيوعية واليهودية علاقة وطيدة .

وقد قال الفيلسوف "نيتشه" فى القرن التاسع عشر عن تلك العلاقة: "إن المفكر الذى يهمه أمر أوربا ويطيل فيه التفكير ، تكشف له نظراته إلى المستقبل أن اليهود الروس سيكونون أهم العوامل فى رواية المستقبل العظيمة

وصراع القوى المنتظر !" . وقد أشار نيتشه بتلك الكلمات إلى وجود صلة خفية بين الصهيونية والشيوعية .



نيتشه

إن من أهداف الشيوعية ، كما روّج لها الشيوعيون ، إطلاق الثورات فى العالم وتحقيق السيادة العالمية . وهذا هو نفس هدف الصهيونية . فقد طغت فكرة السيطرة اليهودية على العالم منذ زمن بعيد .وسجلها اليهود فى قوانينهم السرية ، وهم يعتقدون أنهم وحدهم شعب الله المختار !

وقد اعترف الصهيونيون بأنهم أول من نادى بالشيوعية .

وفى مقال نشرته جريدة "أفريكان هيبرو" اليهودية الأمريكية فى سنة 1920 جاء فيه أن "الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود ، وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم ، وأن ما تحقق فى روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم ، ونتيجة لتدبير اليهود ، ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم !" .

• الزوجة الرابعة : مارينا

لا أحد يستطيع تأكيد زواج ستالين من روزا ، ولذا فإن زواجه من مارينا

بعد ذلك قد يكون الزواج الثالث أو الزواج الرابع . إن عشق ستالين لروزا لم يتجاوز سنة 1936م . فيبدو أنه قد ملّ منها وأراد التغيير .

ولم يلجأ للخلاص منها بالقتل أو بالنفى كعادته مع كل من لم يرغبهم . وإنما جعلها تمضى لحالها فى سلام مشترطًا عليها الالتزام بالسرية والاّ .. !

وبرزت امرأة أخرى فى حياة ستالين بعدما بلغ السابعة والخمسين من عمره وهى مارينا راسكوفا وكانت شابة جميلة فى الخامسة والعشرين من عمرها .

تعرّف ستالين عليها عندما قُدمت له ضمن فريق الطيارين الذى ينوى زيارة القطب الشمالى . وزاد إعجابه به عندما عرف أنها نشأت فى منطقة بحر أزوف وهى منطقة قريبة من مسقط رأس ستالين ودعاها ستالين لقضاء فترة استجمام بقصر سوتشى على البحر الأسود والذى خصصه كمصيف له. وصار من الواضح فى تلك الفترة احساس ستالين بالرضا والسعادة من تلك العلاقة . وكان يرافق مارينا بقاربه الخاص فى رحلات بحرية . وقد رآه بعض السكان فى حالة نشوة وسعادة .

وارتبطت مارينا بعلاقة صداقة قوية بابنة ستالين سفيتلانا وبدأت تتقرب إلى أفراد أسرته وأصدقائه المقربين . وقرر ستالين الزواج منها .

وأقيم حفل صغير للاحتفال بذلك الزواج الجديد ، ولكن موضوع الزواج نفسه أحاطته درجة كبيرة من السرية ولم يفصح عنه ستالين ، ولم تتناوله الصحف السوفيتية .

كما أن مارينا نفسها فضلت ذلك ولم تبدى رغبتها فى الظهور إلى جانب ستالين وفضلت أن تكون زوجة سرية له ولم تتدخل فى شئون السياسة ، فقد استفادت من دروس الماضى وفضلت أن تكون زوجة على الهامش !



شخصية ستالين .. الرجل غريب الأطوار !



• الديكتاتور الخائف !



إنه على الرغم من أن ستالين ، أى الرجل الصلب ، اكتسب صورة الرجل القوى المهيب الذى لا يستطيع أحد معارضته والذى صورته الدعاية الروسية على أنه الزعيم الذى لا يقهر ، فإنه كان يحمل بداخله إحساسًا بالخوف المستمر والتشكك فى كل شىء !

إن البشاعات التى ارتكبها رسبت فى داخله الخوف من أن يُقتل فى أى لحظة . وربما يكون ذلك على يد أشد المقربين له ، وذلك على الرغم من الحاجز الأمنى المنيع الذى وفّره من حوله .

فكان من عاداته ألا يمر أمام حجرة بها أشخاص مجتمعين خوفًا من أن يباغته أحد بطلقة نار .

وكان لا ينام الليل بحجرة واحدة دائمة ، وإنما كان يميل للانتقال من حجرة لأخرى حتى لا يكون له موضع محدد أثناء نومه وغفلته .. وبالتالى لا يتمكن أحد من التسلل إليه وقتله أثناء النوم .

فمثلما كان غادرًا بالآخرين بما فى ذلك أشد المقربين له ، كان يخشى كذلك من غدر الآخرين به .

• التمسك بالرأى وعدم قبول النقد :

القتل هو الحل !

وقد استسهل ستالين عملية القتل لكل من يعارضه .

فقد كان القتل المباشر أو غير المباشر عملاً عاديًا يقوم به المحيطون بستالين ضد أى معارض أو متمرد .

بل كان القتل يحدث أحيانًا لمجرد سماع ستالين لإجابة لا ترضيه أو لرأى لا يعجبه من الطرف الآخر . فعندئذ كان يقوم بمجرد الضغط على زر مختبئ تحت مكتبه .. وبحدوث ذلك يدخل إلى مكتبه رجلان أو ثلاثة ويقومون بسحب الشخص غير المرغوب للخارج وإطلاق الرصاص عليه[1]!

فكان القتل هو الحل لأبسط الأمور التى تزعجه !

ولذا فإن مقابلة ستالين كانت شيئًا مرعبًا ومخيفًا لا يتحملها الكثيرون .

ومن الطريف أن حجرة الاستقبال بمكتبه كانت مزودة بفريق طبى لتهدئة المترددين على المكتب سواء قبل أو بعد مقابلته !! .

إن تلك القسوة الشديدة التى تميز بها ستالين يصعب تفسيرها ، ولكن لا شك أنه قد ساهم فى ترسيبها فى شخصيته ما تعرض له من عنف غير مبرر فى طفولته وشقاء وحرمان فى صباه .. وكفاح ومطاردة من رجال الشرطة فى شبابه.. وتعذيبه فى المعتقلات .. ونفيه إلى سيبيريا.

---

(1) وربما قلده بعض الطغاة وصار على نهجه كصدام حسين جلاد العراق .. فالطغاة ينتمون إلى مدرسة واحدة وفكر استبدادى واحد (الناشر) .





صورة جمعت ستالين ومولتوف وليتفينوف فى الثلاثينات
خارج قصر الكرملين الذى عاش به ستالين واستقبل زائريه

إن من طبيعة الشيوعيين ، أمثال ستالين ولينين ، أنهم يسيئون الظن بكل من يعارضهم أو يبدى رأيا مخالفًا لآرائهم ، ويتهمونه بأنه من "أعداء الشعب" .

وكانت تلك الصفة متأصلة فى ستالين ، وكذلك فى لينين .

ومن الروايات الطريفة التى ذكرتها إحدى الروسيات يوما "إذا قرأت مرة أن لينين ألقى القبض علىّ بتهمة سرقة بعض الملاعق الفضية من الكرملين فاعلم أن معنى هذا أننى لست على وفاق معه فى بعض الشئون الزراعية أو الاقتصادية" !

ويقول الكاتب الفرنسى أندريه جيد من خلال ما شاهده فى روسيا أثناء زيارته لها : "إن إقدام أى روسى على المعارضة أو الانتقاد يعرضه لأقصى أنواع العقوبات ويؤدى به إلى الهلاك العاجل المحقق" .

• الرجل الغامض !

لقد كان ستالين شخصًا شديد الغموض يميل للأخذ بالسرية فى كثير من تصرفاته .

ولذا فإن ما عرف عنه منذ كان شابًا ثوريًا كان قليلاً إلى حد كبير حيث كان يحرص على تمزيق أو إخفاء أى أوراق أو مستندات تتعلق به .

حتى أن أمر زواجه من زوجته الثالثة روزا ظل سريًا .. بل إن أحدًا لا يستطيع تأكيد حدوث ذلك الزواج .. فهل كانت عشيقة أم زوجة له ؟!

أما زواجه الأخير من ماريا فقد أحاطه كذلك بالسرية والكتمان ، ولم يعرف به سوى أشد المقربين إليه .

ومن النادر أن كانت تنشر على لسانه أحاديث أدلى بها لصحفيين أجانب. فكان لا يسمح بنشرها إلا القليل منها .

وقد دعا غياب الحقائق إلى انتشار الإشاعات والمبالغات حول تصرفات ذلك الرجل الغامض .

وكان ستالين قليل التحدث ، فكان يرقب ويتأمل ويفكر أكثر مما يتكلم . ويبدو أنه يخطط لشىء ما فى ذهنه .

كما كانت مقابلته أمرًا عسيرًا .

• الذين قابلوا ستالين وتحدثوا إليه :

ويحكى إريك جونسون ، رئيس الغرفة التجارية بالولايات المتحدة فى ذلك الوقت ، وهو من القلائل الأجانب الذين استطاعوا مقابلة ستالين والتحدث إليه ، عن تلك المقابلة التى جرت فى سنة 1944م قائلاً :

"لقد رأيت شخصًا مختلفًا إلى حد ما عن صور ستالين التى رأيتها فى المدارس والمصانع والمكاتب وأغلب الأماكن بالاتحاد السوفيتى ، فبدا قصير القامة عريض الصدر مرتديًا سترة من القماش البنى الناعم ويتصل طرفا بنطلونه بحذاء مرتفع شديد اللمعان" .

ويقول "عندما بدأت المقابلة لاحظت شيئًا غريبًا فقد جلس ستالين يخطط بالقلم فى ورقة بيضاء أمامه وكان يرسم أشكالاً مختلفة ثم يقوم بتمزيق الورقة وإلقائها وإعادة التخطيط فى ورقة أخرى" .

ولقد كان معروفًا عن ستالين أنه كان يميل لاستقبال زائريه أثناء فترة الليل.. ولم يكن مصرحًا لأحد من الصحفيين بحضور تلك المقابلات والاجتماعات إلا فى حالات قليلة جدًا . وكان محظورًا عليهم نشر كل ما يدور فيها . وكانت أغلب القرارات الخطيرة التى اتخذها ستالين وليدة تلك المحادثات والمقابلات التى كانت تجرى أثناء الليل .

ويعلق جونسون على تلك الزيارة التى قام بها لموسكو قائلاً : "إن ما نعرفه فى الحقيقة عن الاتحاد السوفيتى يعد محدودًا للغاية فهو بلد واسع جدًا مترامى الأطراف مختلف فى سياسته وأعرافه عن دول العالم الأخرى" .

ويقول : "إنه على الرغم من أن ستالين يعد فى الوقت الحالى أقوى رجل فى العالم إلا أن ما نعرفه عنه بالفعل يعد قليلاً للغاية" .

كما كتب كارينجى عن ستالين : "إنه رجل غامض لا يحب الظهور ولا يرحب بمقابلة الغرباء .. ومن الطريف أن بعض سفراء دول عظمى فى الاتحاد السوفيتى لم يتمكنوا لسنوات طويلة من رؤيته ! "

• الأماكن السرية !

وقد حرص ستالين ، الرجل الغامض ، على إخفاء حركة تنقلاته فى داخل روسيا أو خارجها .

وصار من غير المعروف للكثيرين معرفة مكان ستالين فى كثير من الأحيان .

ومن الطريف أنه اتضح بعد مماته أنه كان يقضى أجازته الصيفية على شاطئ البحر الأسود .. ولكن تلك المعلومة لم تكن معروفة للكثيرين !

أما المقابلات الشخصية التى كان يجريها ستالين فصارت أيضًا فى طى الكتمان . وكان من النادر أن تتناول نشرات الأخبار فى الراديو والصحافة الأنشطة أو المقابلات التى يقوم بها ستالين ، باستثناء استقباله لبعض السفراء أو الزعماء .

• هل كان ستالين خطيبًا بارعًا ؟



إنه على الرغم من سِحر ستالين الذى أوقع الشعب الروسى تحت سيطرته التامة ، وكأنه منوم مغناطيسي سلب إرادة الناس ، فإن ستالين لم يكن خطيبًا بارعًا قادرًا على شحن عواطف الجماهير ولهب حماسهم ، على عكس هتلر الذى برع فى هذا المجال .

وإنما كان يميل من خلال خُطبه إلى اكتساب صورة المعلم أو المرشد حيث كانت خطبه تمتلئ بالوصايا والتعاليم . ولكن رغم نقص مهارة الخطابة عنده فقد كان قادرًا على الإقناع بصوت رخيم وأسلوب هادئ وثقة بالنفس .

كما كان دقيقًا مهتمًا بتفاصيل الأشياء سواء فى خُطبه أو فى بحثه للأمور التى تُعرض عليه .

فكان يفكر فى عمق وهدوء فيما يقوله أو يفعله .

ومن الطريف أن تلك الدقة التى تميز بها امتدت لرسائل الإطراء

والإعزاز التى كان يرسلها له بعض أفراد الشعب ، فكان يهتم بقراءتها بصورة جيدة ودقيقة . وعلى عكس غيره من الشخصيات البارزة التى كانت لا تهتم بتلك الأشياء .

• العاطفة عند ستالين

هل يمكن أن يكون رجل مثل ستالين له قلب وعاطفة ؟!

إن ستالين شعر بحزن شديد وندم بعد حادث انتحار زوجته ناديا ، والذى كان من المحتمل جدًا أنه قد دبَّر لقتلها !

لكننا لا يمكن أن نعتبره إنسانًا تحركه العواطف والمشاعر .. فقد كان بحق صلبًا إلى أبعد الحدود ، كما وصفه اسمه ستالين .. أى الرجل الصلب أو الرجل الفولاذى .

وقيل عنه "إذا كان للصخرة عاطفة فلستالين عاطفة !"[1].

لقد كان ستالين مؤمنًا بمبدأ مكيافيلي "الغاية تبرر الوسيلة" .. واتخذ من هذا المبدأ مبررًا لجرائم القتل العديدة التى دبّر لها .. فكان مبرره فى ذلك ، حسبما زعم ، القضاء على أعداء الشعب !



مكيافيلي

• ستالين .. والفن :

وكان ستالين ميالاً للفنون .. فكان يستمع للموسيقى ، ويشاهد الأوبرا أما

(1) وفي التنزيل العزيز : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 74). (الناشر).

مجال الرقص فكان هوايته المفضلة. كان معجبًا بصفة خاصة براقصة الباليه أولانوفا . وكان يذهب للمسارح لمشاهدة عروض الرقص ويجلس فى مقصورة خاصة لا يراه أحد فيها .

ومن الطريف أن عُنْفَه قد امتد لمجال الفن .. فإذا استمع لقطعة موسيقية ولم تعجبه أنزل النقمة على مؤلفها !

إنه يذكر أنه استمع ذات مرة لقطعة موسيقية من تأليف موسيقيين ناشئين.. ولما انتهى العرض استدعاهما وقال لهما "إن موسيقاكما لا تحمل نغمة مرتبة وإنما تختلط بالضجيج" ومنذ ذلك اليوم اختفى هذان الموسيقيان الناشئان عن الظهور !

أما الأطرف من ذلك أنه أثناء حضوره لحفلة موسيقية عُرضت أوبرا من تأليف بيجوف كانت تحمل اسم "الحياة من أجل قيصر" .

وبعدما انتهى العرض استدعى مؤلفها – بيجوف- وقال له :"ألم يكن من الأفضل أن تحمل هذه الأوبرا اسم الحياة من أجل ستالين" .

وبعد مرور بضعة أيام اختفى بيجوف ووجد مقتولاً ومعلقًا على جذع شجرة داخل مصحة عقلية !

وقد انتشر فى عهد ستالين ارتباط بعض الجنرالات ورجال السياسة بنجمات الفن .. وفى حالات كثيرة كانوا يجبروهن على الاعتزال من الغناء أو الرقص. وكان من أشهر تلك الحالات ارتباط مولوتوف بمغنية الأوبرا المشهورة إيرنا تشيرنوفا .. وقام بمنعها من الغناء .

وعلّق ستالين على ذلك مازحًا : "إنه يجب أن نصدر قانونًا يحرم على رجال السياسة اختطاف النجمات" .

أما ستالين نفسه فلم يكن ميالاً لذلك فلم يجد متعته فى مرافقة النجمات والممثلات .. فقد كانت متعته الأولى هى القتل والانتقام !





ستالين ينقلب على اليهود[1] ويستعد لإجراء مذبحة جديدة

• قوة اليهود المتزايدة:

بعد انتهاء الحرب أحس ستالين بالخطر اليهودى على شخصه بعد أن قويت شوكتهم وزاد نفوذهم.

وفى سنة 1947م ، دُبرت مؤامرة ستالينية لقتل الممثل اليهودى المشهور

(1) بصمة اليهود ووقوفهم وراء الثورة الشيوعية في روسيا الحمراء بين وواضح للعيان فقيادات الحركة الشيوعية إن لم يكن الواحد منهم يهوديًا صريحًا كتروتسكي ووزير الداخلية الدموي (بيريا) فعلى الأقل تجده متزوجًا من يهودية مثل (لينين) و(ستالين) و(مولوتوف) والجدول الآتي الذي أعده رجل الصناعة الأمريكي هنري فورد في كتابه المهم (اليهودي العالمي) نشر مكتبة ابن سينا يوضح هذه الحقيقية الجلية (الناشر).

الهيئة	عدد الأعضاء	عدد الأعضاء اليهود	النسبة المئوية لليهود
مجلس نواب الشعب الشيوعي	22	17	٪77
مجلس الحرب الشيوعي	43	33	76.7٪
مجلس الشئون الخارجية	16	13	81.2٪
مجلس المالية	30	20	٪80.0
مجلس العدل	21	20	٪95.2
مجلس التوجيه العام	53	42	79.2٪
مجلس الدعم الاجتماعي	6	6	٪100
مجلس العمل	8	7	٪87.5
ممثلي الصليب الأحمر البلشفي المرسلة إلى برلين وفيينا وبوخارست وكوبنهاجن	8	8	٪100
مندوبو المقاطعات	23	21	٪91.3
الصحفيون	41	41	100٪

فى ذلك الوقت "سولمون ميخولس" والذى ترأس اللجنة اليهودية المناهضة للفاشية .

ذهب ميخولس إلى مولوتوف شاكيًا له من التفرقة التى يواجهها أبناء جنسه من اليهود .. وفى اليوم التالى عُثر على ميخولس مقتولا . وقد صرحت "سفتلانا" ابنة ستالين انها قد سمعت حديثًا لأبيها مع بعض الشخصيات يتضمن تدبير حادثة قتل بسيارة لميخولس .

• مؤامرة ستالينية ضد أطباء الكرملين من اليهود :

وفى يناير 1953 ، أعلن راديو موسكو اكتشافه لمؤامرة غاية فى الغرابة، حيث أعلن أن أطباء الكرملين يدبرون لقتل الزعماء الشيوعيين بتحريض من اليهود حيث كان كثير من هؤلاء الأطباء من الجنس اليهودى .

ويذكر دكتور "ياكوب رابابورت" وهو آخر من ظل على قيد الحياة من أطباء الكرملين اليهود والذى كان قد سُجن ثم نُفى إلى لوبيانكا أنه فى ذلك الوقت الذى شاع فيه ذلك الخبر الغريب امتنع الناس عن أخذ أطفالهم المرضى للعيادات خوفًا من قيام الأطباء اليهود بتسميمهم .. وأن أخته "ناتاليا" كانت تتعرض فى الطريق لاعتداءات متكررة من الأهالى ، حيث كان الصبيان والأطفال يقومون بقذفها بالفئران الميتة والخضراوات العفنة !

والحقيقة أنه كان هناك توجس وريبة في اليهود مما أوجد اتجاهًا عامًا لنفى اليهود فى مجاهل سيبيريا والتخلص منهم .

إن تلك المذبحة التى أعدها ستالين لأطباء الكرملين لم تكتمل لأنه مات بعدها بشهرين .

وقد افتضح خروشوف فى مؤتمر الحزب الذى عقده بعد وفاة ستالين ما حدث فى تلك القضية والتى كانت من تدبير ستالين نفسه .

فقال فى خطابه فى ذلك المؤتمر : "إنه لم تكن هناك قضية .. وكل ما ظهر من أدلة هو رسالة للدكتورة "تيماسول" إلى ستالين زعمت فيها أن أطباء الكرملين لا يتبعون طرقًا صحيحة فى علاجه . وقد اتضح فيما بعد أنها كانت تتعاون بصفة غير رسمية مع جهاز الشرطة السرية" .

وبعد وفاة ستالين أُفْرِجَ عن الأطباء المحتجزين قبل محاكمتهم .. ورُد إليهم اعتبارهم . ورجعوا إلى ممارسة مهامهم الطبية من جديد .

كما أوقفت وفاة ستالين مخططًا آخر لنفى اليهود .. حيث كان يخطط لترحيل ونفى نحو مليونى يهودى سوفيتى متهمًا إياهم بالسعى لبث الفتن وتخريب المجتمع السوفيتى . لكن ذلك لم يكتمل بسبب وفاة ستالين .





شهود على جرائم ستالين الوحشية ومساوئ الشيوعية

• الأدباء والشيوعية :

لقد حاول الشيوعيون الترويج والدعاية لفكرة الشيوعية بشتى الطرق وكانت طوابع البريد واللوحات الفنية والتماثيل إحدى الوسائل لذلك ، والتى انتشرت فى عهد ستالين على وجه الخصوص .

كما أن فلسفة الشيوعية فى حد ذاتها جذبت إليها بعض الناس خارج الدول الشيوعية ، من أدباء وشخصيات مرموقة لما تميزت فيه بظاهرها من أفكار براقة وخادعة تخلص المجتمعات من الاستعباد واستغلال أصحاب رؤوس الأموال .

ولكن فى الحقيقة أن كل من لمس الواقع الشيوعى من هؤلاء المؤيدين للشيوعية وأدرك مدى المعاناة التى عاشها الشعب الروسى فى ظل نظام سياسى مستبد أدرك حقيقة الشيوعية المرة ونواياها السيئة .



• جان بول سارتر يعترف :

كنت مخدوعًا بالأفكار الشيوعية :

كان من أبرز الشخصيات المتحمسة لفكرة الشيوعية الفيلسوف اليهودي الفرنسى المشهور جان بول سارتر حيث كان يرى أنها ترفع من شأن

طبقة العمال الكادحين وتخلصهم من سيطرة أصحاب رؤوس الأموال مما يجعلها فكرة جديرة بالاحترام والتقدير .

ولكن فيما بدا أن سارتر غيّر من موقفه تجاه الشيوعية بعدما زار روسيا وعرف بأخبار معسكرات الاعتقال وجرائم القتل والتعذيب التى اقترفها رجال ستالين فى حق الآلاف من الأبرياء .

وذكر سارتر أنه لابد من إخفاء أمر هذه المذابح الجماعية عن العمال فى فرنسا حتى لا تشعر طبقة البروليتاريا بالإحباط !

• جورج برنارد شو يكشف الدعاية الكاذبة للشيوعية :

وفى سنة 1932 م. زار الكاتب الإنجليزى المشهور جورج برنارد شو الاتحاد السوفيتى ، والذى أبدى أسفه عما فعلته الشيوعية على يد ستالين بالشعب السوفيتى .



وقد كتب بعد تلك الزيارة مقالة فى صحيفة التايمز جاء فيها أنه خُدع بالمجلات الروسية الداعية للشيوعية والتى ظهرت فيها صور المزارعين والمزارعات فى الحقول وصور العمال والعاملات فى المصانع تنطق بفرحة الشعب ورضاه وحماسه للبناء والتقدم، وقد غاب عن الكثيرين خارج الدول الشيوعية أن ما زاد على نصف هؤلاء العمال عاشوا سنين طويلة ضحية الجوع والخوف. والاستبداد بالقتل والسجن والنفى .

• الكاتبة الإنجليزية "كاستورا" تحكى عن مشاهداتها فى روسيا الشيوعية :

كما كانت الكاتبة الإنجليزية "كاستورا" من أشد المتحمسين للأفكار الشيوعية لكن هذا الحماس زال وتحول إلى غضب واستياء من المبادئ الشيوعية ومن خلال ما أدركته كاستورا عن حقيقة الشيوعية عندما قامت بزيارة واحدة لروسيا. وبعد تلك الزيارة ، كتبت كاستورا مقالاً فى إحدى الصحف الإنجليزية جاء فيه : "إننى أعجب لهؤلاء الذين يتحدثون عن الشيوعية . هل هم يتهمونها حقًا ؟ أم أنهم يغالطون أنفسهم ؟ لقد كنت فى روسيا وشاهدت بعينى رأسي الكدح والإرهاق الذى يعانيه الروس والقوات العسكرية فوق رؤوسهم لا يملكون أن ينفسوا عن رغبة واحدة ولو بوجه حق . لقد كتب كارل ماركس عدة مبادئ وراح يتغنى بها قائلا : "تصوروا مجتمعًا من العمال يؤثر الجماعة على رغبته الخاصة ، وذلك المجتمع هو المجتمع المنشود . وهذا الكلام لا بأس به..." ولكن أين هذا الكلام وأين مكانه فى روسيا من أولها لآخرها ؟

يقول ماركس كذلك : "تصوروا هذا المجتمع الذى يعمل فى هدوء وسلام وسعادة لا وجود لها .. هذا المجتمع الذى يساهم فيه الفرد للصالح العام على قدر طاقته فيجازى على قدر حاجته" . تصوروا هذا المجتمع الذى لا تعرف عنه روسيا إلا أنه فكرة ينادى بها إنسان ويستحيل تحقيقها اليوم فمن لم ير روسيا فتلك مشاهداتى وما رأته عيناى[1].

---

(1) عن كتاب الشيوعية فى الميزان للأستاذ مصطفى البساطى .



• أندريه جيد والشيوعية ،

زيارة واحدة لا تكفى !

كما اجتذبت الفلسفة الشيوعية بأفكارها البراقة أكبر أديب فرنسى وهو أندريه جيد الحائز على جائزة نوبل فى الآداب عام 1947م .



زار أندريه جيد روسيا مرة واحدة فى سنة 1936م . واحتك من خلال تلك الزيارة بطبقات العمال والفلاحين ورأى بعينيه أحوال معيشة الشعب فى ظل الشيوعية ، وكانت تلك الزيارة كافية له تمامًا للتحول من أحد أنصار الشيوعية إلى أحد المعارضين لها .

وبعد عودته إلى بلاده كتب مقالات عديدة عن حقيقة الشيوعية بناء على ما أدركه من خلال تلك الزيارة ، وقد اشتملت تلك المقالات على الانطباعات التالية:

أدرك جيد من خلال زيارته للعمال فى المصانع مدى الشقاء الذى عاشوا فيه فى ظل قوانين العمل القاسية . فقد تحول العامل منهم إلى ترس



ى آلة ، يعمل ويكدح ساعات طويلة مقابل أجر زهيد من المال .. وإن حاول الخروج عن قوانين العمل أو حاول مخالفة الأوامر التى فرضها عليه رؤساؤه تعرض للسجن أو للنفى أو للقتل .

ويقول جيد واصفًا فى إحدى مقالاته أحوال هؤلاء العمال الذين تعرضوا للقتل والتعذيب : "لكأنى أسمع الصرخات حولى .. صرخات تلك الضحايا التى لا عدد لها ، إن صمتهم الموجع هو الذى يدفعنى إلى الكلام اليوم دفعًا ، إن التفكير فى هؤلاء الشهداء هو الذى يدفع قلمى إلى الكتابة الآن" .

وقد أعجب جيد فى بادئ الأمر بتشجيع الحكومة الشيوعية على نشر الثقافة وإتاحة الفرص لتعليم كافة أبناء الشعب . لكنه بعد تلك الزيارة أدرك أن هذا الاتجاه لا يهدف فى حقيقة الأمر إلا خدمة الثقافة الشيوعية بحيث يتحول جميع المواطنين إلى اكتساب نمط مشترك فى التفكير والنظرة العلمية للأشياء بما يتفق مع مبادئ الشيوعية .

كما لمس جيد بوضوح من خلال زيارته لروسيا حالة العُزلة التى فرضتها الشيوعية على الناس هناك وكأنهم يعيشون فى عالم منفصل عن باقى شعوب الدنيا ، ذلك بالإضافة لمصادرة حرياتهم وتحويلهم إلى مجتمع أشبه بالغرباء يخشى الناس فيه بعضهم بعضا خشية إفشاء أسرارهم والتجسس على أحوالهم لخدمة السلطة . وعن هذه الناحية يقول جيد : "إن روسيا إذا كانت قد قضت على النظام الرأسمالى فيها فإنها لم تهب الشعب أية حرية . فالمسؤولون عن الحرية والعدالة لا يعنون كثيرًا بالرعايا .. وهؤلاء الرعايا لا يملكون أن يرفعوا أصواتهم حتى تبلغ مسامع المسئولين فعليهم والحالة هذه أن يتجرعوا آلامهم صابرين متظاهرين بالرضا والسعادة" .

ولعل أبرز مثال يوضح كبت الحريات والعزلة القاسية التى عانى منها



الشعب الروسى فى ظل الشيوعية أن العالم الروسى "زخاروف" والذى حصل على جائزة نوبل قد مُنع من السفر لاستلام الجائزة وذهبت زوجته بدلاً منه لتسلمها وسط جو من الاشمئزاز لمعاملة عالم بهذه الصورة .

• خداع الشيوعية :

ويقول أندريه جيد : "ليس هناك ما يمنعنى من قيود حزبية أو غيرها عن الكلام بصراحة تامة . ذلك لأننى أضع الحق فوق الحزبية وأننى أعرف جيدًا أن الماركسية لا تؤمن بشىء اسمه الحق فليس هنالك إلا الحق النسبى وعلى أى حال فإننى أوقن بأن من الجرم العظيم أن يضلل الإنسان غيره . فالاتحاد السوفيتى قد خدعنا فى أعمق آمالنا وأرانا على نحو حزين يبعث على الأسى حقا كيف أن الثورة انتهت إلى هذا السراب . إن المجتمع الرأسمالى العتيق قد أعيد فى روسيا من جديد وإن استبدادا رهيبا قد ظهر ليسحق الإنسان ويستغله بكل ما كان للنظام الإقطاعى من روح استعبادية" .

• مصادرة الحرية الشخصية :

واستكمالاً لما كتبه أندريه جيد عن مصادرة الشيوعية لحرية الشعب . نذكر جزءًا من كتاب "النظم السياسية – الدولة والحكومة" للدكتور محمد كامل ليلة والذى يوضح فيه سلبيات النظام الماركسى فيما يتعلق بالحرية .

"الأخذ بمذهب ماركس لا يؤدى إلى كفالة الحرية ، إذ لا يمكن أن نحمى الحرية فى ظل الدكتاتورية التى يرى ماركس ضرورتها فيما سماه بالمرحلة الانتقالية وهى ما قبل الشيوعية الكاملة – التى تعتبر عنده الفردوس الشيوعى الذى يمنى به أتباعه وفيه تلغى الدولة ويعيش الناس بدون قانون وبدون دولة وهى مرحلة خيالية لا يمكن تحقيقها .. قريبة الشبه بالمدينة الفاضلة أو

بالجمهوريات الأفلاطونية الخيالية – وقبل أن تتحقق هذه الخيالات لابد أن تقوم دكتاتورية "البروليتاريا" على القمع والإرهاب والضغوط" .

ويقول: "إن الأمر الذى لا يستطيع أن ينكره الماركسيون هو التسليم بعدم كفالة الحريات فى فترة الانتقال أى فى ظل دكتاتورية "البوليتاريا" بل التسليم بالضغط الواضح على الحريات خلال تلك الفترة .

ويقول : "والأمر الذى يكشف منطق الماركسيين ، ويدل على غموض مذهبهم ، وتهربهم ، والتجائهم إلى المغالطة بل الخداع يتعلق بفترة الانتقال . فمتى تنتهى هذه الفترة لكى تبدأ المرحلة التالية (مرحلة الشيوعية) وبمعنى آخر كم عدد السنين التى تستغرقها الفترة الانتقالية لكى تصل إلى نهاية التطور حيث تسود الحرية الحقيقية بمعناها الأصيل ؟ "

• لويس فيشر يفضح الشيوعية !

هو صحفى أمريكى ولد فى عام 1869م ، وقد اكتسب شهرة واسعة من خلال كتاباته بصحيفة "نيويورك بوست" .

كان فيشر من أنصار الشيوعية ، ولكنه عندما أوفد فى مهمة صحفية فى روسيا تحول من نصير إلى معارض للشيوعية . وكتب بعد عودته عدة مقالات وضح فيها حقيقة المجتمع الشيوعى فى عهد ستالين .

يقول فيشر : "لم أكن أفهم فى تلك السنين التى كنت فيها مناصرًا للسوفيت، وإنما كنت يومئذ أعتقد أن وقف إطلاق الحريات إلى حين من شأنه أن يمكن النظام السوفيتى من التقدم بخطوات اقتصادية سريعة ، وعندئذ يعيد الحريات كما كانت .

ولكن ذلك لم يحدث ، وتبين أن الدكتاتورية السوفيتية ظلت مفتقرة إلى



البقول والأغذية ، لأنها قد ظلت مفتقرة إلى الحريات ، إذ لا سبيل إلى ضمان مادى ، ولا إلى ديمقراطية اقتصادية ، ما لم تتوافر الديمقراطية السياسية . وإن اعتقال ملايين من الخلق فى معسكرات السوفيت وسجونه عقب انصرام ثلاثين عامًا على بداية الثورة لهُو فى الحق سخرية من كل ادعاء بأنه توافرت فيه الديمقراطية السياسية والاقتصادية . وليس ثمة أيضًا أقل بادرة على أن هذه الدولة "البوليسية" آخذة فى الذبول والفناء ، بل بالعكس ، كل تطهير فيها يولّد ساخطين جددًا ، ويستوجب تطهيرًا آخر . وهكذا ينقلب التطهير غير المشروع سلاحًا دائمًا فى يد الدكتاتور ضد الشعب .

"لقد علمتنى الأعوام التى قضيتها فى مناصرة السوفيت أنه لا يصح لامرئ يحب الناس ويريد السلام أن يناصر دكتاتورية ما ، وأن قيام نظام اجتماعى ينادى بالحرية ، ولكنه مع ذلك يحد منها ليس سببًا يبرر اعتناق مذهب يدمر الحرية تدميرًا ، ويقضى عليها قضاءًا مبرمًا ، بل من الخير أن يعمل على إزالة القيود المضروبة على الحريات بأنواعها من شخصية ، وسياسية ، واقتصادية ، وهى القيود الملموسة فى الديمقراطيات جميعًا وتغذيتها بمبادئ غاندى وتعاليمه، وفى مقدمتها احترام الوسيلة ، والإنسان ، والحقيقة .... " .

"لقد وُصِفَت "روسيا ستالين" بأنها "دولة بوليسية" . ولكن ذلك بعض الشر أو أهونه ، فإن الكرملين لا تتوسل إلى إخضاع الناس بقوة البوليس والسجن وحدهما . بل بقوة أكبر من ذلك ، بتلك القوة الملازمة لملكية كل عمل اقتصادى والاستيلاء على إدارته .

وما الشركات الضخمة بأنواعها فى الدول الرأسمالية إلا أقزام إذا قيست بذلك "الاحتكار السياسى الاقتصادى الماموثى" الذى يتمثل فى الدولة

السوفيتية إذ ليس لقوته الضخمة نقض ولا إبرام ، ما دامت مظاهر القوة كلها موسدة فى دكتاتورية الحكم وطغيانه" .

• آرثـر كوستلر.. الصحفى الشيوعى الـذى عـدل عن شيوعيته !

كوستلر هو صحفى مجرى ، انضم للحزب الشيوعى فى عام 1931م ، لكنه بعدما عاش فى واقع الحياة الروسية من خلال عمله تحول عن مناصرة الشيوعية وأصبح من المعارضين لها .



ويحدثنا كوستلر عن جانب آخر من جوانب الحياة فى ظل الشيوعية وهو الجانب الفنى .

فيقول : "كان المبدأ الغالب فى المسائل المتصلة بالفنون هو "الديناميزم الثورى" فكل صورة تخلو من مدخنة مصنع أو حـرارة هى صورة رسام

"تهربى" أو "متهرب" . وأما كلمة "الديناميزم" فقد أفسحت المجال لدخول أساليب تجريبية جديدة كقولهم الرسم التكعيبى والفن التعبيرى وغيرهما.. ويقول : "وعمد الشيوعيون أيضًا إلى علم النفس فبسطوه تبسيطًا واسع المدى ، واكتفوا بإقرار واقعين انفعاليين ، وهما دافع التضامن الطبقى والدافع الجنسى ووصف كل ماعداهما بأنه داخل فيما وراء الطبيعة عند البورجوازيين، أو أثر من التنافس الاقتصادى عند الرأسماليين كالطمع والطموح ونشوة السلطان والنفوذ" .

ويقول : "وما أحسب بلدًا فاق روسيا السوفيتية فى عدد الثوريين الذين طُوح بهم فيه ، أو استذلوا وسيق بهم مساق الرق والعبيد .

وكان مشهد هذه الفظائع والأعمال المنكرة التى يقترفها رجال من ذوى الذكاء والألمعية والنية الحسنة فى عين رجل راح سبعة أعوام كاملة يجد الشفائع والمعاذير لكل حماقة ترتكب تحت علم الماركسية ، وكل جريمة تقترف تحت لواء الشيوعية – أدعى إلى الاشمئزاز والنفور من الأعمال الوحشية التى يأتيها البسطاء والجهال والحمقى .

وقد شاهدت بعينى مدى تلك "البهلوانية" الذهنية أو الرقص على الحبل الممدود حول ضمير الإنسان وشعوره" .





لغز وفاة الديكتاتور !



• الرجل الصلب يفقد وعيه فجأة !

فى يوم 1 مارس من سنة 1953 م، وكان يومًا شديد البرودة فى موسكو تملأه السحب السوداء ويتساقط فيه الجليد فى كل مكان، جلس ستالين على مائدة طعام الغداء فى الكرملين وكان برفقته بيريا (رئيس البوليس السرى) وأعضاء من الحزب الشيوعى وهم مالينكوف، وبولجانين ، وخروشوف .



وفى نهاية وجبة الطعام الطويلة الممتدة ، تراخى ستالين على مقعده ، ومال برأسه على الجنب ، وأصبح غير قادر على النطق أو الحركة !



• فريق طبى للعناية بستالين :

وعلى الفور استدعى رجال الكرملين أكبر الأطباء . فجاء وزير الصحة وبرفقته فريق طبى لفحص حالة ستالين .

ووُضعُوا تحت المراقبة الشديدة ، حيث رُصدت كل تحركاتهم وهمساتهم. فقد كان "القتل الطبى" عملاً شائعًا ابتكره ستالين وساد فى الاتحاد السوفيتى بعد ذلك ، ولكم قتل ستالين بعض ضحاياه باستخدام وسائل طبية !

وجاء التشخيص الطبى يشير إلى إصابة ستالين بشلل نصفى نتيجة حدوث جلطة بالمخ .

ولجأ الأطباء لمحاولة مداواة الزعيم بكل الوسائل الطبية البدائية فى تلك الفترة فاستخدموا أقنعة الأكسچين وحُقن البنسلين واستخدموا كذلك طريقة العلاج بالدود العالق لمص الدم.

وكاد المحيطون به لا يصدقون ما حدث للزعيم . ولأن السلطة بأكملها كانت متمركزة بيده لم يستطع أحد اتخاذ إجراء ما . فما كان عليهم سوى الانتظار لمعرفة ما سوف ينتهى إليه الأمر .

وظل خبر مرض الزعيم وعدم قدرته على النطق أو الحركة ، وهو ما حدث أيضًا للزعيم الراحل لينين ، محل سرية تامة .

فقد كان الجميع ينتظر أن يعود الزعيم مرة أخرى لحالته ، ويتماثل للشفاء. فاعتبره البعض أقوى من الموت نفسه!

مرت عدة أيام تدهورت خلالها حالة ستالين حتى غاب عن الوعى تمامًا ومات فى يوم 5 مارس عن عمر ناهز 73 عامًا .

• الروس لا يصدقون وفاة زعيمهم!

وفى ميدان الكرملين ساد جو من الحزن ودقت الأجراس وانطلقت موسيقى جنائزية . وأعلن الكرملين خبر وفاة الزعيم .. والذى جاء فيه :

"يعلن مجلس وزراء إتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية عن إصابة الزعيم ستالين فى يوم واحد من مارس بأزمة صحية بالغة أدت لإصابته بجلطة ونزيف بالمخ . وقد أجريت له كل الإسعافات اللازمة . لكنه استمر فى حالة فقدان تام للوعى حتى فارق الحياة" .



ولم يصدق السوفيت ما سمعوه. وراحوا يتجمعون حول أكشاك بيع الصحف .. وهم لا يصدقون أن ستالين قد فارق الحياة !

ومن الطريف أنه رغم ما ذاقه الشعب من بشاعات وقهر وقسوة فى عهد ستالين إلا أن كثيرًا من الناس كانوا يبكون على وفاته ويظهر عليهم علامات الحزن الشديد وكأنهم فى كابوس مخيف لا يصدقونه !

• جنازة ستالين :

وانطلق بيان آخر من الكرملين ينعى فيه وفاة الزعيم ويحث الشعب على مواصلة المسيرة "فلتحيا تعاليم ماركس وإنجلز ولينين وستالين .. فليحيا الشعب السوفيتى العظيم" .

ودُعى رجال الدين لإقامة قداس على روح الزعيم ، على الرغم من أنه لم يكن يعترف بالأديان .

وحضرت أفراد أسرة ستالين .. فجاء ابنه فاسيلى ، والذى كان يشغل منصب رئيس القوات الجوية ، وابنته سفتلانا ، بينما لم تظهر زوجته روزا فى المشهد !



ستالين يرقد فى تابوته الخشبى

ولفترة ما حُفظت جثة الزعيم ، ولم يدفن مباشرة ، ربما لإحساس البعض أنه قد يستيقظ مرة أخرى !

لكن ذلك لم يحدث ..

ورقد ستالين فى تابوته الخشبى مرتديًا زيه العسكرى وعلى صدره أوسمة عديدة كان قد حصل عليها على مدار حياته كزعيم . وبدا وجهه كأن الحياة لم تفارقه وأنه فى نوم مؤقت عميق سيصحو منه مرة أخرى !

وامتلأ الميدان الأحمر بالمودعين ، وراحوا يمرون على تابوته زوجًا زوجًا ليلقوا عليه النظرة الأخيرة قبل أن يدفن إلى جوار لينين .

• غموض .. وشكوك !

ومثلما كان ستالين غامضًا فى حياته فقد اقترنت وفاته كذلك بالغموض.

فأثيرت بعد وفاته بعض الشكوك وحدثت بعض الأحداث الغريبة .

فصارت هناك شائعة أطلقها مولتوف تدعى بأن بيريا رئيس البوليس السرى قد دسّ السم لستالين فى الطعام !

كما اختفى عن الظهور بعد وفاة ستالين ولأسباب غير واضحة بعض الأشخاص البارزين مثل بوسكريبشيف رئيس سكرتارية ستالين والذى كان مكلفًا بعمليات التطهير .. وكذلك زوجته اليهودية روزا .. وكذلك قائد مدينة موسكو وقائد حماية الكرملين .. كما اختفى وزير الصحة الذى ترأس الفريق الطبى المعالج لستالين .

وكل ذلك أثار شكوكًا فى وفاة الزعيم المفاجئة والسريعة !





القضاء على ظاهرة ستالين

• الكشف عن بشاعات العصر الستالينى :

لقد كان ستالين ظاهرة بالفعل تستحق الدراسة والبحث . وكان تأثيره عميقًا على المجتمع الروسى وامتد لقارتى آسيا وأوربا .

وتمتع بفترة حكم طويلة لم يقضها حاكم روسى من قبله فبلغت 25 عامًا.. وكان خلالها الحاكم الأوحد .. وظن نفسه خالدًا لا يموت !

وظلت خبايا العصر الستالينى فى طى الكتمان لنحو ثلاثة أعوام بعد وفاته. فكان من المعروف أنه كان حاكمًا قاسيًا مستبدًا خلّف وراءه عددًا كبيرًا من القتلى الأبرياء ، ولكن لم يكن من المعروف أنه تسبب فى عدد هائل من الجرائم البشعة وأنه تفنن فى تلفيق التهم بذكاء ومكر لكثير من ضحاياه. كما لم يعرف شىء عن تلك المقابر الجماعية العديدة التى أعدها لضحاياه والتى تكشفت بعد وفاته واحدة بعد الأخرى .

ولم يتصور أحد أن عدد ضحاياه بلغ 20 مليون قتيل !

فهو بحق كان جديرًا باكتساب لقب سفّاح القرن العشرين !

تلك البشاعات التى ارتكبها ستالين كشف عنها وأعلنها أمام الروس نيكيتا خروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى بعد وفاة ستالين بثلاثة أعوام.. أى فى عام 1956 م.



نيكيتا خروشوف

وكانت تلك الحقائق المروعة عن العصر الستالينى كفيلة بشحن نفوس الروس بالغضب تجاه ذلك الزعيم الذى قدسوه !

وهو ما أحدث تغييرات كبيرة تناقضت تمامًا مع مشاعر الروس الحزينة عقب وفاة زعيمهم .

• ماذا قال خروشوف عن جرائم ستالين ؟

وبعد وفاة ستالين تكشفت أسرار كثيرة عما قام به من جرائم كبيرة فى حق السوفيت . وفى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى تحدث خروشوف مفتضحًا جرائم ستالين .. وقال فى جزء من حديثه : "لقد

حصلت اللجنة المركزية على معلومات كثيرة فى هذا الصدد تكشف عن تجبر ستالين حيال بعض أعضاء الحزب القدامى المكافحين . ومن ثم شكلت لجنة تخضع لرقابة المجلس الأعلى للجنة المركزية مهمتها التحقيق فى حقيقة الأسباب التى أدت إلى اتخاذ إجراءات قمع جماعية ضد معظم أعضاء اللجنة المركزية السابقين وضد أعضاء انتخبوا فى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعى .

وقد وقفت هذه اللجنة على قدر كبير من المعلومات تضمنتها ملفات إدارة البوليس السرى ، كما وقفت على وثائق تتضمن حقائق كثيرة عن تلفيق بعض القضايا ضد شيوعيين مخلصين ، وعن اتهامات زائفة وجهت إليهم ، وعن سوء استغلال للشرعية الاشتراكية ، وهى كلها مظالم أطاحت بعدد من الأبرياء .

ولقد كشفت هذه الوثائق والمعلومات عن حقيقة واضحة هى أن كثيرين من أعضاء الحزب ، ومن العناصر التى كانت تتولى الترويج للشيوعية فى الحقل الاقتصادى اتهموا زورا وبهتانا بأنهم "أعداء الشعب" فى عامى 1937م و1938م مع أنهم كانوا دائمًا شيوعيين مخلصين ، ولم يكونوا قط فى يوم من الأيام أعداءًا أو جواسيس أو خونة . ولكنهم حينما وجدوا أنفسهم متهمين فى جرائم مشينة لم يرتكبوها ، وحينما عجزوا عن احتمال التعذيب الوحشى الذى تعرضوا له ، اتهموا أنفسهم ، تنفيذا لأوامر القضاة والمحققين والمزيفين ، بارتكاب كل ما يجول فى الخاطر من جرائم خطيرة وغير معقولة" .

• صُور ستالين تُداس بأقدام الروس !

لقد كان من المدهش حقًا أن صُور ستالين الذى قدسه كثير من الروس وانتشرت فى كل مكان بالاتحاد السوفيتى صارت تمزق وتحرق وتداس بالأقدام وتقذف بالطوب والحجارة !



كما اتخذ المؤتمر قرارًا بنقل جثمان ستالين من الميدان الأحمر ، وبتغيير اسم مدينة ستالينجراد إلى اسمها الأصلى فولجوجراد .

وتبع ذلك تغيير أسماء العديد من المدن الأخرى والميادين والشوارع التى حملت اسم ستالين .

واتخذت إجراءات لإقامة نصب تذكارى لضحايا العصر الستالينى .

• شكل الحياة بعد ستالين :

واختلف شكل الحياة إلى حد كبير بعد وفاة ستالين حيث قل استخدام العنف والقهر كسلاح اقتصادى ولجأت الحكومة إلى أساليب أكثر مرونة لاستجلاب رضا الشعب .

وأعلن نيكيتا خروشوف الذى شغل منصب سكرتير عام الحزب الشيوعى ورئيس وزرائه جيورجى مالنكوف عن اتجاه الحكومة إلى العمل على زيادة الاهتمام بالمجال الزراعى ، وتلبية حاجات الناس من البضائع الاستهلاكية ، وتخفيف القيود فى حركات البيع والشراء وتداول البضائع.



جيورجى مالنكوف

• حزمة إصلاحات جديدة :

وبعد وفاة ستالين شكلت هيئة رئاسية جديدة ضمت ثمانية أعضاء من المكتب السياسى القديم ، وهم : خروشوف ، ومولوتوف ، ومالينكوف ، وبولجانين ، وفوروشيلوف ، وكاجانفيتش ، وسابيروف ، وبيرفوخين .

وشغل خروشوف منصب سكرتير عام الحزب الشيوعى ، بدلا من مالينكوف ، على عكس ما كان متوقعًا .

وحَدَث ما يمكن تسميته بالقضاء على "ظاهرة ستالين" والتى تغلغلت فى جميع مجالات الحياة . فاتخذت عدة إجراءات مناهضة للنظام الستالينى، وطُبِّق بعضها بعد وفاة ستالين بفترة قصيرة .. وهذه أهمها :

• إطلاق صراح السجناء :

فصدر قرار بالعفو عن السجناء الذين قلت عقوبتهم عن مدة خمس سنوات.

كما أطلق سراح الأمهات ، والشيوخ ، والشباب أقل من سن الثامنة عشر.

وخففت مدة السجن لباقى السجناء إلى نصف المدة .

• انتهاء عصر معسكرات الاعتقال :

كما أوقف العمل بنظام معسكرات الاعتقال والأشغال الإجبارية الذى ابتدعه ستالين لعزل وتأديب معارضيه . كما أعيد النظر بصفة عامة فى قانون العقوبات .

• إعدام بيريا :

وصدر قرار باعتقال بيريا الذى شغل منصب رئيس البوليس السرى ووزير الداخلية فى عصر ستالين .. وصدر حكم بإعدامه فى 23 ديسمبر 1953م بعد محاكمة سرية رأسها الماريشال كونييف .

كما اعتقل وأعدم عدد آخر من ضباط وزارة بيريا .

• **إصلاحات زراعية :**

كما شهد مجال الزراعة بعض الإصلاحات التى كان من شأنها تخفيف معاناة الفلاحين .. حيث خُفضت حصص التسليمات الإجبارية ، ورفعت أسعار المحاصيل الزراعية التى تشتريها الحكومة من الفلاحين .

• **إصلاحات ثقافية :**

لقد عزل ستالين الروس عن العالم الخارجى وترك وراءه تخلفًا ثقافيًا كبيرًا. ولذا بدأ الاهتمام كذلك بمجال الثقافة والتعليم وإطلاق حرية الرأى والتعبير إلى حد كبير بالنسبة لعصر ستالين . كما بدأت حركة التبادل الثقافة بين الاتحاد السوفيتى والدول الأخرى تشهد نموًا واضحًا .

• **إصلاحات اقتصادية :**

كما تحررت الحياة الاقتصادية من كثير من القيود التى كبلها بها ستالين . ولم تعد الانتهاكات الاقتصادية جرائم جنائية كما كانت فى عهد ستالين .

وفى عام 1956م ، أصبح الاتحاد السوفيتى من أقوى الدول الاقتصادية ، وزاد الانتاج الصناعى بنحو ثلاثة أضعاف عما كان عليه فى الأربعينيات .

• **إصلاحات خارجية :**

كما أعيد النظر فى مجال السياسة الخارجية واستعاد الاتحاد السوفيتى علاقاته الدبلوماسية مع يوغسلافيا ، وعقدت الهدنة الكورية فى 27 يوليو 1953 م.

وأصبح الوضع الدولى بصفة عامة أقل توترًا عما كان عليه .

• انتهاء عصر الرجل الأوحد :

وأعلن خروشوف عن عزمه الأخذ بمبدأ القيادة الجماعية وانتهاء عصر ديكتاتورية الرجل الواحد .

وقد أشارت صحيفة "برافدا" فى أكثر من مقال نُشر بها عن انتهاء عصر "تقديس الفرد" !

• وداعًا ستالين ..أهلاً خروشوف :

وبوفاة ستالين ، انتهت أبشع سنوات الشيوعية التى زادت عن ربع قرن قضاها الشعب فى ظل الحكم الستالينى المستبد .

وقد شهدت السجون ومعسكرات الاعتقال التى أقامها ستالين للمعارضين والخارجين عن القانون خلال فترة رئاسته حركة اضطراب شديدة حيث طالب السجناء بإعادة النظر فى الأحكام التى عوقبوا بها . وطالبوا بزيادة عدد مرات الزيارات لهم ، وبزيادة فترات الراحة من الأشغال الشاقة .

من ناحية أخرى ، ظهر نوع من الصراع على السلطة بين كبار قادة الشيوعية وأبرزهم جورجى مالينكوف الذى شغل منصب وزير الخارجية ، وبيريا الذى شغل منصب رئيس البوليس السرى ، وخروشوف الذى ترأس الحزب الشيوعى فى موسكو .

ومن الطريف أن مالينكوف قد لجأ إلى حيلة ذكية لجذب الانتباه إليه فى ذلك الوقت حيث قام بتزييف صورة فوتوغرافية جمعت بينه وبين ستالين وماوتسى – تونج ونشرتها صحيفة برافدا فى صفحتها الأولى للإيحاء للشعب بمدى أهمية مالينكوف كرجل سياسة !

ولكن فى الحقيقة أن نيكيتا خروشوف استطاع أن يكسب فى هذا الصراع ، وتحققت له الرئاسة من بعد ستالين .

وقد تميزت شخصية خروشوف بالقسوة ، تلك الصفة التى زادت ونمت عنده طوال فترة احتكاكه بالرئيس السابق ستالين .

وقد اتبع خروشوف بصفة عامة نظامًا سياسيًا يهدف إلى إعادة تأهيل البلاد ، وكان من أبرز ما تم فى عصره تطوير المخابرات السوفيتية فى صورتها الحديثة والتى عرفت باسم (KGB) .. والتى خصصت لها الدولة جزءًا كبيرًا من ميزانيتها لخدمة اعمال التجسس والاستخبارات السوفيتية .

كما دخل الاتحاد السوفيتى فى عهده عصر الفضاء .

كما اهتم خروشوف اهتمامًا بالغًا بالناحية الزراعية فشجع على زراعة مساحات شاسعة من الأراضى ووضع خطة بعيدة المدى لزيادة الإنتاج بحيث يوفر الغذاء الكافى للشعب وللتصدير .

واضطر خروشوف أمام حركات الاحتجاج المتكررة التى شهدتها السجون أن يصدر قرارات بالعفو عن مجموعة كبيرة من السجناء السياسيين ، وبحلول صيف 1956م أفرج عن حوالى مليون فرد من ضحايا ستالين .







- وُلد فى "جـورى" سنة 1879م .. ومات فى الكرملين سنة 1953م.
- أقام حكمًا ديكتاتوريًا مرعبًا على مدى 25 سنة خضعت له مساحات كبيرة من أوربا وآسيا وتسبب فى مقتل نحو 20 مليون شخص .
- 1922م : شغل منصب السكرتير العام للحزب الشيوعى .
- 1928م : أصبح زعيمًا للاتحاد السوفيتى وبدأ خطة خمسية للإصلاح أنشأ من خلالها المزارع الجماعية التى عادت بكوارث على السوفيت.
- 1932م - 1933م : تسبب فى وفاة 5 ملايين سوفيتى بسبب الجوع.
- 1937م : أمر بمحاكمة جنرالات الجيش الأحمر وتخلَّص منهم .
- 1939م - 1945م : قام بحملة نفى لنحو 1.5 مليون شخص إلى سيبريا ووسط آسيا
- 1940م : أمر بقتل تروتسكى
- 1945م : أقام الكتلة الشيوعية [إمبراطورية للشيوعية] أو ما يسمى "حلف وارسو" فى أوربا الشرقية ، مبتدئًا بذلك الحرب الباردة بين الغرب والشرق .



مصطلحات شيوعية روسية

- البلشفية : كلمة روسية معناها الأغلبية
- المنشفية : كلمة روسية معناها الأقلية
- البروليتاريا : الطبقة العاملة الكادحة
- البرجوازية : الطبقة الوسطى وأغنياء الحرب
- الرأسمالية : أصحاب المال وأدوات الإنتاج
- الكولاك : طبقة الفلاحين أصحاب الأراضى
- بلوتقراطية : سيطرة الأغنياء على الحكومة
- الماركسية : مذهب ماركس وأتباعه الماركسيين
- الكومنفورم : منظمة نشر الشيوعية فى العالم وكانت تسمى كومنترن قبل الحرب العالمية الثانية
- الكرملين: مقر قادة الاتحاد السوفيتى فى موسكو
- سوفيت : كلمة روسية معناها مجلس





المراجع

• المراجع العربية :

- فضائح الشيوعية- دكتور أيمن أبو الروس.
- جهاز الرعب والخيانة- دكتور أيمن أبو الروس.
- زعماء ودماء- دكتور أيمن أبو الروس.
- ستالين- الأستاذ فرج جبران.
- حقيقة الشيوعية- الأساتذة/ أمين شاكر / سعيد العريان / على أدهم/ دار المعارف.
- الشيوعية فى الميزان دار الكتاب العربى.
- العالم الأحمر الأستاذ / جورج عزيز .
- ظاهرة ستالين جان ايلينشتاين/ ترجمة دكتور مجيد الراضى.
- حكايات سياسية - الأستاذ/ ضياء الحاجري - مكتبة ابن سينا.

• المراجع الأجنبية :

- Stalin, The Man and His Era, Adam B. Utam.
- Stalin In Power, Robert C. Tucker.
- Red Empire, Gwyneth Hnghes & Simon Welfare.

فهرس المحتويات





ستالين الشاب الثائر في عام عام 1915
عندما كان يحمل اسم (صوصو)

لينين مجرم الشيوعية مع تلميذه
النجيب السفاح الكبير ستالين!



صورة قديمة تجمع بين لينين (في الوسط)
وإلى يمينه ستالين وإلى يساره كالينين



زوجة ستالين الثانية نادزدا في نعشها



ستالين في مؤتمر الفلاحين



ستالين يصافح فون رينتروب وزير خارجية
ألمانيا بمناسبة التحالف الروسي الألماني



تالين يتوسط فوروشيلوف وكالينين
في المؤتمر السادس عشر للحزب

لينين الزعيم الثوري الدموي الذي
حول روسيا إلى مستنقع من الدماء



المتظاهرون في منطقة ليفسكي إحدى ضواحي مدينة بيترو جراد في حالة من الفوضى
والتمزق في 4 يوليو 1917 حيث كانت هذه أولى محاولات البشفيك للاستيلاء على السلطة



الأثرياء وأصحاب المصانع في العهد القيصري
صاروا رجالًا أشرارًا في عهد ستالين!



صورة لعمال أحد المصانع في بطرسبرج بعدما أعلنوا الإضراب عن العمل، وزاد السخط
بينهم بسبب دخول روسيا الحرب. وقد كانت تلك هي البداية لاستنصال نار الثورة



القيصر نيقولا الثاني في حفل زفاف بصحبة
زوجته القيصرة الكسندرا في 1913م



قوات الشرطة السرية التابعة للقيصر (الاوخرانا) تفحص أحد القطارات في محطة فنلندا
بحثًا عن الكتب الممنوعة! والغريب أن كتاب (رأس المال) لكارل ماركس لم يكن من الممنوعات!



مجموعة من المنفيين المعارضين
للقيصر في سيبيريا وقد نفي لينين
هناك لمدة 3 سنوات في 1897م

صورة كاريكاتورية ساخرة تمثل الوضع الذي كان موجودًا في البلاد في العهد القيصري حيث استطاع راسبوتين أن يكسب ود القيصرة ويسيطر على شخصية القيصر الضعيفة وبالتالي أصبح قـادرًا على التحكم في الأمـور السياسية في روسيا القيصرية

فيلكس ديزرز هنسكي الذي أسس أكبر منظمة سرية إرهابية عرفتها روسيا



القيصر أليكس يستعرض الجنود الروس الذاهبين إلى الحرب العالمية الأولى
انظر كيف يقدر الجنود القيصر واحترامهم وتقديرهم له

أسرى الحرب الروس بعد معركة تانين بيرج من الشهر الأول في الحرب العالمية الأولى والتي كانت كارثة عظيمة للجيش الروسي حيث قتل أكثر من ربع الجيش، كما جرح وأسر باقي الجيش في نهاية 1914م

بلغت خسائر الروس في الحرب العالمية الأولى حوالي من 5 إلى 15 مليون قتيل وجريح ومعوق كما في الصورة



ثورة أكتوبر 1917، والتي لـم يـستـطـع كـيـرنـسـكـي السيطرة عليها مما اضطره للتخلي عن منصبه للزعيم لينين لتبدأ روسيا مرحلة جديدة من تاريخها.



صـورة تجمع قـادة الشيوعية بقيادة الزعيم الدموي لينين ورفيقه المتطرف تروتسكي ولاحظ قرب وجود تروتسكي من لينين كما تلاحظ اختفاء ستالين من الصورة ومن المشهد!



أرادت شيوعية لينين إذلال كل أصحاب النفوذ بحجة القضاء على الصراع الطبقي وفي هذه الصورة يظهر مجموعة من الطبقة الراقية يقومون بإزالة الجليد من شوارع موسكو



امتد بطش لينين بأصحاب السلطة والنفوذ إلى الأجداد. وفي هذه الصورة يظهر رأس تمثال القيصر ألكسندر الثالث أبو القيصر نيقولا الثاني مفصولًا وملقى على الطريق بأحد ميادين موسكو



كتيبة من الجنود القوزاق شديد البأس والذين كان يستخدمهم القيصر في حماية الحدود وكان لهم دور في الحرب العالمية الأولى

تروتسكي اليهودي والشيوعي المتطرف وقائد الجيش الأحمر في لقطات مختلفة



منظمة أمريكية خيرية توزع الطعام على ضحايا مجاعات ستالين في 1921م



الغربان الميتة والكلاب الضالة كانت تعتبر من الوجبات العادية في الأيام البائسة في عهد المجاعات التي تسبب فيها الطاغية ستالين!



صورة لسيارة رولزرويس صنعت خصيصًا للزعيم لينين في لندن وهي تعد واحدة من ضمن عدة سيارات باهظة الثمن كان يمتلكها، وذلك في الوقت الذي عاش فيه الروس في ظل التقشف والاستبداد والحرمان من حرية الاختيار



لينين بصحبة زوجته اليهودية والشيوعية (كروبسكايا) والتي كانت تنتقد تصرفات ستالين بشدة الأمر الذي هددها بالاختفاء بعد موت لينين



حـوّل ستالين دور العبادة من مساجد وكنائس إلى اسطبلات للخيول أو مخازن للحبوب والغلال كما في الصورة

حملات الدعاية الكاذبة صورت المزارع الجماعية على أنها أماكن نموذجية للحياة المثالية بينما الحقيقة انها كانت أماكن للقهر والإذلال للنفس البشرية!

الجانب المظلم من حملة ستالين التحديثية، عمال أجبروا على العمل في حفر قناة تخدم أسطول بحر البلطيق وكان من ثمرتها موت أكثر من مائة ألف عامل!



جينريخ باجودا رئيس جهاز الشرطة السرية NKVD



بشاعة المجاعة التي تسبب فيها ستالين في مصادرة محاصيل الحبوب من الفلاحين والمضاربة عليها في السوق العالمي من أجل هدف سياسي رخيص، وكان من نتيجتها هلاك 5 مليون فلاح روسي منهم 3 مليون من أوكرانيا وحدها!



باستثناء ضابط واحد فقط من الذين يظهرون في الصورة قتل ستالين معظم قادة الجيش الأحمر في ثلاثينيات القرن الماضي. لقد قضى ستالين على أكثر من 35.000 ضابط بالإعدام أو بالاغتيال



رجال لينين في قبضة ستالين بعضهم انتحر والآخر قتل أو نفي أو اختفى في ظروف غامضة!



صورة للمقبرة الجماعية التي أقامتها الشرطة السرية في عهد ستالين NKVD وعرفت تلك المنطقة باسم تلال الذهب



في يونيه 1941 ظهرت شوارع مدينة لفوف أجمل المدن البولندية ممتلئة بجثث الضحايا الذين قتلتهم قوات الجيش الروسي بينما اعتقلت أقاربهم أجهزة الشرطة السرية NKVD



الفيلسوف الفرنسي اليهودي سارتر كان
من أكبر مؤيدي الشيوعية!



تروتسكي يتوسط بعض أنصاره من
المعجبين والفنانين في المكسيك

TROTSKY IS DEAD





الصحف الأمريكية تبرز حادث اغتيال تروتسكي على يد شيوعي روسي من أنصار ستالين



جثة تروتسكي تدخل إلى المحرقة حسب وصيته!



مفاوضات تقسيم بولندا بين الضباط السوفيت والألمان



إحـدى الصور لحرب الشتاء القارس
وسط الجليد والتي استمرت بي
الجيش الأحمر والقوات الفنلندية م
بين نوفمبر 1939 وحتى مارس 1940

القرويون الأوكرانيون يرحبون
بالقوات النازية الغازية بعد معاناتهم
المأساوية مع الطاغية ستالين

صورة لإحدى المشانق الجماعية التي أعدتها القوات النازية
لليهود والشيوعيين المعارضين في ديسمبر 1941م



صورة للأعداد المهولة من الأسرى السوفيت والذين تعرضوا لأعمال العنف والتعذيب على يد النازية



مع اقتراب القوات النازية من موسكو، تفرغ الرجال والشباب للحرب والمقاومة بينما قام العجائز والنساء والأطفال بحفر الخنادق حول المدينة كما يظهر في الصورة



خلال فترة الحرب في ليننجراد دمرت شبكات الكهرباء وانقطعت وسائل النقل وكان السكان يقومون بنقل جثث الموتى على جرارات تشد باليد لنقلها إلى المدافن



صورة لسكان ليننجراد وسط ال
القارس وقنابل النازية

صورة تجمع بين ستالين وروزفلت
وتشرشل أثناء توقيع اتفاق يالتا بعد
انتهاء الحرب العالمية الثانية

عيد ميلاد ستالين، كان يوم الاحتفال بعيد
ميلاده السبعين يومًا مشهودًا.. ففي الصورة
يظهر الميدان الأحمر مكتظًا بالناس
وتظهر لوحة كبيرة لوجه ستالين معلقة
في السماء ومضاءة بالأنوار الساطعة



صورة للطبيب اليهودي الأصل (رابابورت)
والذي اتهم بقتل القادة الشيوعيين

هلك ستالين في 6 مارس 1953م ولا يزال
سبب الوفاة مجهولًا حتى الآن!



آخر صورة لجثمان ستالين.. ويظهر في الصورة على جهة اليسار بالترتيب مالينكوف وزير الخارجية ثم بيريا (رئيس البوليس السري) ثم خروشوف (رئيس الحزب الشيوعي في موسكو)



وفاة ستالين أحدثت حالة من الهلع والحزن عند المواطنين الروس قبل أن يكتشفوا جرائمه



المجال الزراعي من أبرز اهتمامات خروشوف وكان يقضي كثيرًا من الوقت داخل المزارع السوفيتية



بولينا الزوجة اليهودية لمولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي اعتقلها ستالين وأرسلها إلى معسكرات العمل الجماعي ثم أفرج عنها بعد وفاته



الشعب المجري يثور على الشيوعية وعلى الاحتلال الروسي

بإسقاط وتحطيم تمثال ستالين



قادة الشيوعية الذين خربوا البلاد وأكثروا فيها الفساد وأذلوا العباد وحولوها إلى مستنقع للدماء!!

ستالين ومعه كاجانوفيتش وأندريف وفورشيلوف
وديمترون رئيس الحزب الشيوعي الدولي

مشهد من مشاهد المجاعة الحادثة في أوكرانيا عام
1930م بعد أن صادر ستالين محاصيلهم ليصدرها
للخارج بأثمان بخسة بدعوى إضعاف الغرب



أوردزنيكلز وفورشينوف وكيبشيف وستالين وكاليين وكاجانوفيتش وكيروف



ليف تروتسكي في أواخر سنة 1930م



ستالين ومعه ليتفيتوف ومولوتوف
في ساحة الكرملين



كروبسكايا



زوجة ستالين ناديزدا



كيروف في 1934م



كارل رادك في 1935م



الكاتب السوفيتي

ميخائيل شولوكوف



وزير الداخلية الدموي

لافرنيتي بيريا



ستالين مع الأديب مسكيم
جوركي 1931م



تم نفي القيصر ومعه عائلته بعد الثورة البلشفية إلى سيبيريا وهناك تم
إعدامه وأفراد عائلته بطريقة غادرة على يد يهودي بلشفي!



ستالين يعاين سيارته الجديدة والفاخرة من طر
زيس- 151 في عام 1935م

ستالين مع مجموعة من
الأطفال

ستالين ومعه زادانوف عام
1936م



نيكولاي بوخارين قبل اعتقاله مباشرة عام 1937م



ستالين يرحب بوزير خارجية ألمانيا رينتروب أثناء زيارته لموسكو في سبتمبر 1939م

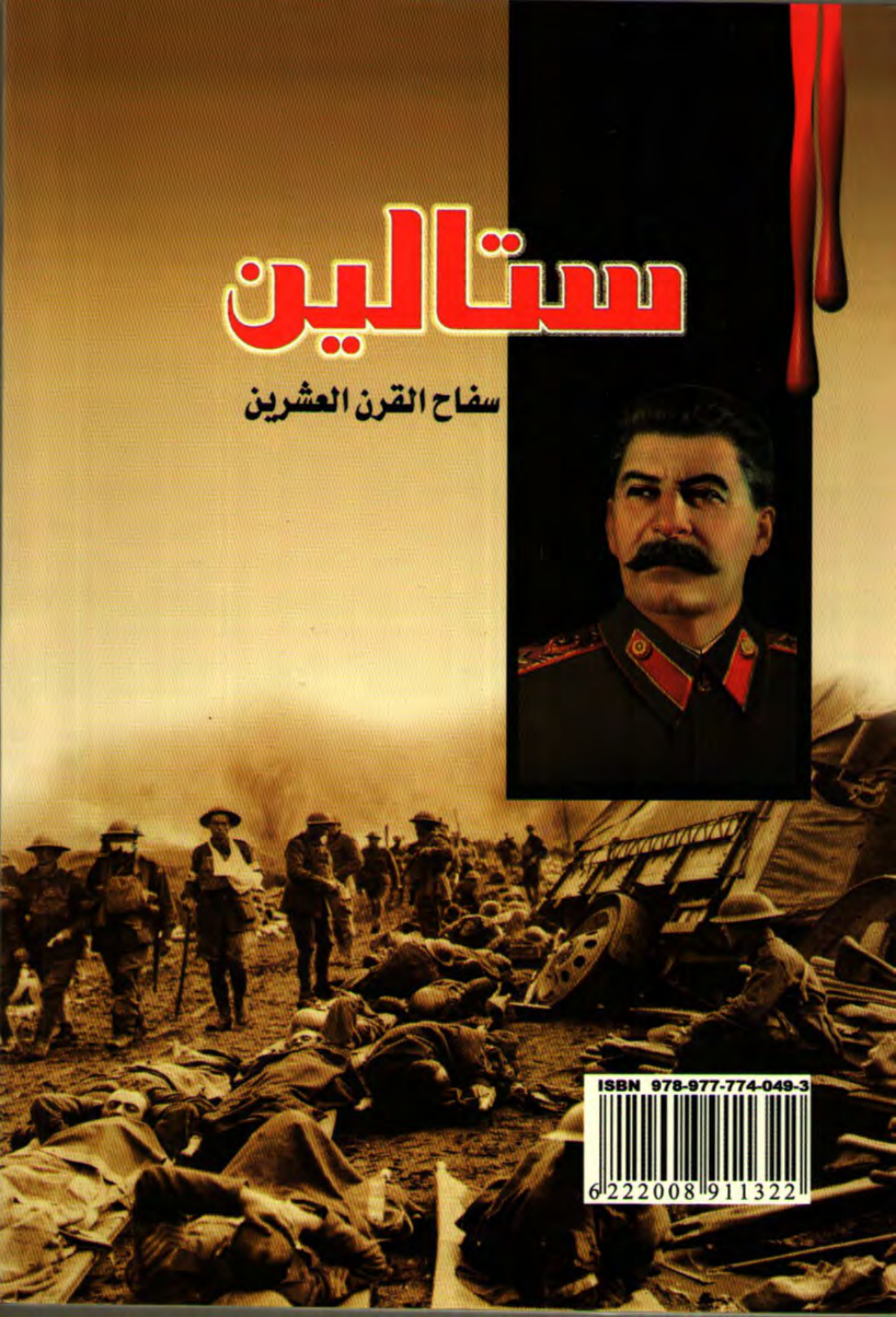


ستالين مع الفلاحة المتفوقة في زراعة البنجر ماريا ديموشنكو



صــورة لعمــال إحـــدى المــزارع الجماعية بعد نقل ملكيتها للدولة

صورتان للمزارع الجماعية في عهد ستالين والتي أجبرت ملايين الأسر على العمل بها لزيادة الإنتاج بما في ذلك الأطفال والنساء


ستالين
سفاح القرن العشرين
ISBN 978-977-774-049-3
6 222008 911322